العدد الثاني السنة الثامنة عشرة

الكلية العربية

مجلة تصدرها الكلية العربية اربع مرات في السنة

قيمة اشتراكها ٢٥٠ ملا

مطبعة بيت المقدس — القدس

العدد الثاني السنة الثامنة عشرة

الكلية العربية

في ٢٨ شباط سنة ١٩٣٨ – الموافق ٢٧ ذي الحجة الهجري سنة ١٣٥٦

الفروق القائمة بين انظمة التعليم الاوروبية و الاميركية[1]

لم ينجم ذلك الامر عن التوسع في فهم الثقافة فهماً مرناً فحسب ، بل هنالك عوامل ثلاثة لعبت دوراً خطيراً في الوصول الى هذه النتيجة . الاول : لقد ثبت في اوائل هذا القرن ان المبرر التقليدي للمواضيع « الصعبة » والقول بانها تدرب العقل وتثقفه يصح تحت شروط خاصة . و بعبارة اخرى ان النظام وانتقال الطلاب لا يحدثان حدوثاً اوتوماتيكياً كما كان يظن لبضعة قرون خلت . فانه بسبب ما جرى من تطور سريع في المدارس العالية ابتداء من نحو سنة ١٩٠٥ اصبح نبذ الفكرة برمتها اسهل من البقاء عليها مع التحفظات التي عملت . والعامل الثاني الذي زاد شقة اختلاف التعليم الاميركي من ثانوي وجامعي عن التعليم الاوروبي كان البرهان المؤيد بالاحصاءات عن وجود فروق فردية واسعة المدى . فقد وجد

(١) هذا هو المقال الثاني تثبته تتمة لما نشر في العدد الاول. وهو مأخوذ عن تقرير معهد كرنجي لتقدم العلوم التربوية

ان عدداً عظيما من الطلاب اما رسبوا او برحوا المدرسة، وقد ثبط هممهم الرسوب واقعدهم عن القيام بمطاليب منهاج لم يتوسع في وضع مواده . اما العامل الثالث فهو ان الجمهور الذي اعتاد ان يشترك في الشؤون التهذيبية اشتراكا مباشراً وان لا يميل الى احترام التقاليد التهذيبية والاجتماعية كما يفعل القوم في اوروبا طلب ان تسد المدارس حاجات اولادهم وتفسح المجال لمقدرتهم سداً وافساحا فعليين سريعين. وقد تحول هذا الطلب الى نظرية انتقدت « القيم المؤجلة في التهذيب » والحفت في المطالبة بحق التلامذة في الحصول على تهذيب سريع النتائج ومستوفى . وكانت نتيجة تلك العوامل ان نشط اولو الامر من رجال الاختصاص لدرس الفرد واكتشاف ما يلائمه من التهذيب . وغير خفي ان تلك السيطرة المحفوفة بالمظاهر الرسمية التي امتازت بها في الغالب البلدان الاوروبية قد زالت ، ويميل الذين بيدهم الادارة في الولايات المتحدة الى ان يكونوا مسؤولين عن مطاليب الجمهور الذي يعضد المدرسة. وقد نجم عن ذلك ان التهذيب يجب ان « يباع » له ، وهذا معناه انه يجب ان يتكيف بمطاليبه المعترف بها . وفوق ذلك فانه بينا نرى رجال التهذيب الاوروبيين ينزعون الى استنكار النزول بالمستويات التهذيبية بسبب تكاثر عدد التلامذة ، نجد ان رجال التهذيب الاميركيين قد تشبثوا بهذا التكاثر الذي يربو على كل بلد في العالم واتخذوه فرصة لتنويع المناهج بحيث تسد المدى الواسع في الفروق الفردية . واذا اردنا العبارة عن ذلك بطريقة أخرى قلنا :— ان المدارس الثانوية والجامعات في اوروبا ترمي الى تناول الذين يعتبرون انهم قادرون على الانتفاع من مساقاتهم الدراسية ، في حين ان المدارس العالية والكليات في اميركا تحاول ان تصطنع مناهج يؤمل ان يستفيد منها الطلاب الذين اختبرت فيهم المقدرة والقابلية.

ولقد استعملت العبارتان الآتيتان « المدرسة العالية » و « المدرسة الثانوية » كمترادفتين للدلالة على شيء واحد. ويجب ان لا يغرب عن البال ان المدرسة العالية الاميركية لهي المدرسة لجميع البالغين، وهي المدرسة الوحيدة التي تأتي بعد المدرسة الابتدائية ومنهاجها يشبه منهاج المدرسة الثانوية الاوروبية . وهي تؤلف منهاجا واحداً من المناهج الكثيرة المستعملة. ان المدرسة الاميركية العالية هي على الاجمال من النوع العام الذي يتناول نواحي متعددة واتجاهات كثيرة ، وهي تجمع بين جدران بناية واحدة جميع المساقات الدراسية الموزعة في المدارس الاوروبية من ثانوية اصلية وصناعية وفنية وتجارية والفنون البيتية وعلم تدبير المنزل . وقد نجم عن ذلك ان حولت مشكلة التكيف بالفروق الفردية مشكلة توزيع التلامذة في الصفوف ونقلتها الى داخل المدرسة من ان تكون على عتبتها ، مثلما هو جار في المدارس الاوروبية . ومن الطرق التي استخدمت لذلك انشاء المدرسة العالية من النوع الثاني. وهي قد نزلت بسن التلامذة الذين يشرعون في الدراسة التي تلي الدراسة الابتدائية الى الثانية عشرة بدلا من الرابعة عشرة وانشأت سلسلة من مساقات استقصائية يتمكن بواسطتها الطلاب من معرفة المواضيع الحرية باقبالهم على التخصص فيها . وبالرغم من هذه الحقيقة وجد ان التلامذة او والديهم يميلون بالاكثر الى انتقاء المساقات العلمية ، اما لان هذه لا تزال تعتبر انها موضع احترام اكثر ، او لانها توصل رأساً الى الكلية . ومهما يكن من سبب فانه من المتحقق الان عموماً انه بالرغم من المساقات الاستقصائية التي تقدمها المدارس العالية من الدرجة الثانية تنتخب الاكثرية الساحقة من الطلاب مساقات لم يتهيأوا لها . فتصبح بذلك معضلة ايجاد الطرق المناسبة لتوزيع الطلبة في الصفوف اشد مما كانت عليه في اي وقت مضى . وبعبارة اخرى ان الحالة

حسرت اللثام عن المشكلة القائمة في اكتشاف طرق يسترشد بها تكون اشد ملاءمة واكثر احكاماً مما تحمله بين ثناياها تلك الطريقة التقليدية وهي طريقة الامتحانات . واذا كانت مهمة التهذيب اكتشاف مقدرة التلامذة وقابليتهم ، وانشاء تلك المساقات الدراسية على ضوء تلك المهمة بحيث يستفيدون منها الاستفادة التامة كانت المشكلة المركزية، كما هي الحالة في كثير من الانظمة المدرسية هي مشكلة الاسترشاد وتنشئة الاساليب والسجلات والامتحانات وما الى ذلك مما يجعل ارشاداً كهذا ذا قيمة حقة . وليست المشكلة مقصورة على المدرسة العالية ، بل هي موجودة في الكلية بسبب زيادة عدد الطلاب. ومهما يكن من امر،فلا يسع احداً الانكار ان مشكلة الاسترشاد لوضع الشيء في محله في الشؤون التعليمية امست معقدة حتى في الولايات المتحدة لبقاء « القيم التهذيبية » المتوارثة وللاتصال بين التهذيب والحالة الاجتماعية .

ان الاتباع الشديد لتقاليد الثقافة الذي هو من مميزات التهذيب الاوروبي والذي يؤيده الاهلون من الوجهة الاجتماعية من الجهة الواحدة ، والامتيازات الرسمية من الجهة الاخرى نجم عنه حماية المعلمين من كبار الاخصائيين. وقد نتج عن هذا التخصص ان صار المعلمون على وجه الاجمال يهتمون بموضوعاتهم الخاصة اكثر من اهتمامهم بطلابهم كافراد . وهذا تبعه نتيجتان وهما ميل اولئك المعلمين الى التدقيق في تأييد مقاييس التحصيل في المواضيع التي يدرسونها ، وعدم رؤيتهم في كثير من الاحيان تأثير هذه المواضيع على تهذيب طلابهم من جميع نواحيه . وتصدر هذه النتائج الى مدى معين من ضغط الامتحانات الخارجية المستمر ومن مطاليب تفتح للطلاب باب التقدم بعد انتهائهم من المدرسة الثانوية ، وذلك اما للالتحاق بالجامعات او لتعاطي اعمال او اتخاذ

وظائف منتقاة . وليس بخاف ان اصلاح التعليم الثانوي في المانيا بعد الحرب كان القصد منه تخفيف ضغط المعلمين الاخصائيين وضغط نظام الامتحانات. ولقدكانت هذه التجربة في غاية القصر وكان المعلمون متغلغلين في التقاليد بحيث لا يمكن الخروج بنتيجة سوى بنتيجة تنزيل المستويات . وتشبه هذه الحركة بعض الشبه ما قام في التهذيب الانكليزي الثانوي بعد ان وضعت الحرب اوزارها، ومانحصر في انتقاد نظام الامتحانات . وفي كل من انكلترا والمانيا (في اثناء الجمهورية) اتجهت نزعات الفكرة التهذيبية الى تحسين المناهج وتطبيقها على القابليات الفردية .

ويخالف ذلك المعلمون في المدارس الاميركية العالية،فانهم لا يضربون بسهم وافر من التخصص كالمعلمين في المدارس الثانوية الاوروبية . واذا استثنينا بضع نقاط كان ما يطلب للحصول على شهادة تخول حاملها حق التدريس في المدارس العالية التخرج من كلية دون ما اشارة خاصة الى المواد المتخصص فيها . لكنها تتطلب مقداراً من الاستعداد في المواضيع المهنية . وثمة شيء من الصحة فيالانتقاد الذي يوجه مراراً الى الحركة التعليمية . وهو ان الاعتماد في اعداد المعلمين على الاساليب والفن اكثر منه على اتقان المادة وتملكها .

ومهما يكن من امر فان الفرق بين الحركة التهذيبية في اوروبا واميركا يمكن وضعه في العبارة التالية :— بينا نرى المعلم الاوروبي يملك المواضيع التي يدرسها نجد ان المعلم الاميركي يفهم تلاميذه اكثر من ذلك . ومن نتائج ذلك ان المعلم الاميركي صار على استعداد لقبول الاشياء المبتدعة وان المعلمين الاميركان لا يقدرون المواضيع الدراسية حق قدرها ولا يصرون عليها لذاتها . ان التباين بين المعلمين الاوروبيين والاميركيين يوجد في الولايات المتحدة نفسها . ولكنه غير

ظاهر تمام الظهور مثل التباين بين معلمي المدرسة العالية ومعلمي الـكليات الذين هم متخصصون في مواضيعهم تخصصاً أعلى . وقد قامت نزعة ، وذلك بسبب ازدياد عدد الطلاب، الى عدم التساهل في ما يتطلبه الدخول الى المعاهدالعلمية والى اعطاء حرية اكثر في انتقاء المواضيع التي يعالجها الطالب . وهذا معناه ان هناك اتفاقاً في الرأي في تقدير قابلية الطالب الفرد ومقدرته وحاجاته اكثر من تقدير تهيئته ووضعه في قالب تهذيبي سبق ان تنظم امره .

شعر المتنبي

في اندية الشعر ومحاكم النقد[1]

وقد تكلم على ديوان ابي الطيب جماعة من جلة العلماء وتصدى له جماعة من فحولهم فمن تكلم عليه ابو الحسن علي بن اسمعيل النحوي اللغوي المعروف بابن سيدة الاندلسي وشرحه ابو الفتح ابن جني واختصر هذا الشرح ابو موسى عيسى بن عبد العزيز البربري الجزولي المتوفى سنة سبع وستماية وعلى شرح ابن جنى رد لأبي الفتح محمد بن احمد المعروف بابن فوذجة النحوي وكان حيا سنة سبع وثلاثين واربعماية وسماه التجني على ابن جني وشرحه ابو البركات مبارك بن ابي الفتوح احمد المعروف بابن المستوفى الاربلي المتوفى سنة سبع وثلاثين وستماية في عشرة مجلدات وسماه كتاب النظام وشرحه ايضاً ابو القاسم ابراهيم بن احمد المعروف بالافليلي النحوي المتوفى سنة احدى واربعين واربعماية. وكمال الدين محمد

---

(١) تتمة خطاب سماحة الرحالة السيد خليل الخالدي ، في مهرجان المتنبي الالفي القاه في دمشق ونشر القسم الاول منه في العدد الاول .

ابن آدم ابو المظفر الهروي المتوفى سنة اربع عشرة وار بعماية وابو البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي العكبري النحوي المتوفى سنة عشر وستماية ، الف في اعرابه كتابا وشرحه أبو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم الهراس الخوارزمي المتوفى سنة خمس وعشرين وار بعماية وابو الحسن محمد بن عبد الله بن حمدان الدلغي العجلي المتوفى سنة ستين وار بعماية وكان فاضلا نحويا من اصحاب ابي علي الرماني وابو طالب سعد بن محمد الازدي المعروف بالوحيد المتوفى سنة خمس وثمانين وثلماية وابوعبد الله سليمن بن عبد الله الحلواني المتوفى سنة اربع وتسعين وار بعماية .

وعبد الله بن احمد الساماني المتوفى سنة خمس وسبعين وار بعماية وابو زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي المتوفى سنة اثنتين وخمسماية وابو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي المتوفى سنة احدى وعشرين وخمسماية وعبد القاهر بن عبد الله الحلبي النحوي المعروف بالواو المتوفى سنة ثلاث عشرة وستماية وعليه حاشية لابي اليمن تاج الدين الكندي وبين ابو علي محمد بن حسن الحاتمي البغدادي المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلماية سرقات شعره وعيوبه في كتاب سماه الموضحة . وللفاضل يوسف البديعي الدمشقي مختصر يحتوي على ذكر ابي الطيب واخباره ونبذ من قلائد شعره سماه الصبح المنبي عن حيثية المتنبي. وللوزير الصاحب ابن عباد صاحب ابن العميد كتاب سماه الامثال السائرة من شعر ابي الطيب المتنبي جمعها لمخدومه فخر الدولة وللفاضل الجليل ابي سعد محمد بن احمد العميدي تأليف سماه الابانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى. وللشيخ عبد الرحمن با كثير المكي الشافعي تأليف سماه تنبيه الاديب الغريب رتبه على مقدمة وبابين وخاتمة. وللقاضي الجرجاني المتوفى سنة نيف وستين وثلماية كتاب سماه الوساطة بين المتنبي وخصومه وهو كتاب نقد ولغة وادب دل على جلالة مؤلفه

وللعالم الفاضل عبد القادر بن محمد بن يحيى الحسيني المكي الطبري تأليف سماه الكلم الطيب على كلام ابي الطيب . وافضل الشروح التي رأيتها واجلها شرح الواحدي وشرح ابي العلا المعري وشرح ابي الفتح ابن جني وثلاثتها موجودة في خزائن الاستانة كل واحد منها يعد اصلا صحيحاً . بقي علينا ان نتكلم على نفسية المتنبي حسبما تأملناه وظهر لنا من خلال شعره فانه اقرب الى الواقع والحقيقة فنقول ان المتنبي كان مثلا ضرب به التاريخ ليكون موعظة تضم الى مواعظ الدهر وان حياته كانت موسوعة غرائب كما ان شعره كنز رغائب .

وذلك ان من تأمله من خلال شعره وجد شاعراً كبيراً لازمه حظ نكد ووجد بائساً فقيراً يحمل آمالا يضيق بها الفضاء وذا نفس يقول في الذود عنها

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني   ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

ورأى رجلا قضى حياته في حرب بين همته وحظه فكلما حاول بهمته بلوغ قمة المجد دفعه حظه عنها الى ابعد حد ثم لايزال عنها يصد واليها يرتد حتى ارغمته الايام بعد ذلك على الرضا بالخيبة . ورأى ايضاً انه كان رجلا معدماً من المال مثرياً من الآمال ينظر الى رقة حاله ورثاثة ظاهرة فيقول للمغيث بن علي بلسان امله .

فسرت نحوك لا الوي على احد   أحث راحلتيَّ الفقر والادبا

اذاقني زمني بلوى شرقت بها   لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

ثم يلتفت الى نفسه فيتم الكلام بلسان امله قائلا

وان عمرت جعلت الحرب والدة   والسمهري اخا والمشرفي ابا

بكل اشعث يلقى الموت مبتسما   حتى كأن له في موته اربا

موقناً ان همته ستصل به بعد حين الى المحل اللائق بكرامته ثم يراه وقد

اشتد به الألم يقول مسلياً نفسه

دون الحلاوة في الزمان مرارة　　لا تختطى الا على اهواله

و بعد ذلك تجده يقول آسفاً

ماذا لقيت من الدنيا واعجبها　　اني بما انا شاك منه محسود

وتراه شاعراً مجيداً يمدح محمد بن زريق فيطنب و يقول

لو جادت الدنيا فدتك باهلها　　او جاهدت كانت عليك حبيسا

وفي ابي عبادة بن علي

لم أجر غاية فكري فيك في صفة　　الا رأيت مداها غاية الابد

وفي الحسن بن اسحق و يذكر بلده

هي الغرض الاسمى ورؤيتك المنى　　ومنزلك الدنيا وانت الخلائق

وفي المغيث بن علي

لقد حسنت بك الايام حتى　　كانك في فم الزمن ابتسام

ثم يتغالى فيقول في ابي العشاير ذاكراً فضل وجوده على الدهر

انت فيه وكان كل زمان　　يشتهي بعض ذا على الخلاق

وفي سعيد بن عبد الله

قد شرف الله ارضاً انت ساكنها　　وشرف الناس اذ سواك انسانا

ثم لا يجد من هؤلاء الذين اغرق في مدحهم وامثالهم غير الجفاء فيخرج عنهم غير عائد اليهم و يقول

صحبت ملوك الارض مغتبطاً بهم　　وفارقتهم ملآن من حنق صدرا

ولد في الكوفة من ابوين فقيرين وكان ابوه سقا فبلغ بهمته وعبقريته اسمى

مراتب الشهرة وكان مسعوداً في شعره رزق فيه السعادة التامة وقد حققت الايام ظنه فيما قاله عن نفسه

وما الدهر الا من رواة قصائدي　　اذا قلت شعراً اصبح الدهر منشداً
فسار به من لا يسير مشمراً　　وغنى به من لا يغني مغردا

يؤيد ذلك قول الشاعر الاندلسي عبد الجليل بن وهبون حين سمع المعتمد ابن عباد يتمثل بشعره معجباً به فقال ارتجالا

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما　　بجود العطايا واللهى تفتح اللها
تنبأ عجباً بالقريض ولو درى　　بانك تروي شعره لتألها

استغرق البؤس الذي لزم المتنبي زهرة شبابه حيث ولد من اب معدم يبيع الماء في الكوفة وتعلم في المكتب فظهرت نجابته بحيث صار يحفظ كل ما يسمع من شعر او نثر فلما رأى ابوه ذلك منه كان له مثال الاب الحكيم فلم يكلفه احتراف مهنته بل رحل به ابوه في صباه مع قلة ذات يده الى الشام لطلب العلم فتلقى العلم والادب عن علمائها ولقي كثيرين من ايمة علماء الادب كابي اسحق الزجاج وابي الحسن الاخفش وابن السراج وابي علي الفارسي وابي بكر بن دريد وغيرهم وتخرج عليهم ودخل البادية واخذ لغة العرب عن فصحائها فجمع بين الاخذ عن العلماء الاعلام وايمة الادب وبين الاخذ عن فصحاء عرب البادية ونبهائها فاصبح بذلك نادرة زمانه وفريد اوانه وهذا سر نبوغه وتقدمه في صناعته حتى لم يكن في وقته من الشعراء من يدانيه في علمه ولا يجاريه في ادبه ولما مات ابوه وعدم المنفق مدح الامراء وذاق لوعة الحسد والكيد من الوشاة ومرارة الجفاء من الممدوحين فهجر مجالسهم واخذ يتلمس الطريق التي يصل منها الى منزلة يستطيع

عندها ان ينتقم لنفسه وتغالى به الغرور لما أحس من نفسه بانه جاء بآيات البلاغة ومعجزات المعاني فحدثته نفسه بان ليس في هذا العالم مثله وان هذه الـكائنات لا شيء اذا قيست به فقال معجباً بنفسه

اي محـل ارتقي　　　اـيـ عظيم اتقي
وكل ما خلق الله　　　ومـــا لم يخلق
محتـقر في همـتي　　　كشعرة في مفرق

واول ألم اصابه بعد ألم الفاقة اعتقاله حين ادعى النبوة ليعرف الناس بنفسه كما ظنها فوضع في السجن مكبلا بالحد يد ويظهر لك مدى المه في ذلك من قوله مستغيثاً بالحاكم ليعفو عنه

دعوتك عند انقطاع الرجاء　　　والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لمـا براني البلاء　　　واوهن رجلي ثقل الحديد

ثم اشتد به البؤس بعد ذلك فقال يشكو سوء حظه وتقلبه في البلاد طلباً لرزقه بغير جدوى

ضاق صدري وطال في طلب الرزق قيـامي وقل عنه قعودي
ابـدا اقطع البـلاد ونجمي　　　في نحوس وهمتي في صعودي

وقال لمن عجب لبؤسه مع جودة شعره ولامه على تقصيره في السعي

ليس التعلل بالامال من اربي　　　ولا القناعة بالاقلال من شيمي
ولا اظن بنات الدهر تتركني　　　حتى تسد عليها طرقها هممي
لم الليالي التي اخنت على جدتي　　　برقة الحـال واعذرني ولا تلم

نظر المتنبي الى نفسه الـكبيرة وما تجلى عليها من الاباء والشمم فقال البيت

الاول ثم التفت الى الدهر يهدده بمقابلة الشر بالشر ويحذره نفسه فقال البيت الثاني ثم نظر الى ظاهره ومخالفته لما يعجب الناس من حسن البزة فقال البيت الثالث كانه يقول فيه لمحدثه اني لا املك ظواهري ولا سلطان لي على ما ينتابها من التغيير فلا تلمني على شيء ليس امره في يدي وقال يصف كثرة تنقله وعدم استقراره في مكان وهو من اعظم مظاهر بؤسه

الفت ترحلي وجعلت ارضي قتودى[1] والغريري[2] الجلالا
فما حاولت في ارض مقاما ولا ازمعت عن ارض زوالا
على قلق كأن الريح تحتي اوجهها يمينا او شمـــالا

وقال لسعيد بن عبد الله يشكو ما اصابه في سبيل الوصول اليه وما لحقه من الالم رجاء خيره

حتى وصلت بنفس مات اكثرها وليتني عشت منها بالذي فضلا
ارجو نداك ولا اخشى المطال به يا من اذا وهب الدنيا فقد فعلا

واصدق الشواهد على مدى ما بلغه من خيبة الامل بشعره قوله يستنهض همته ويحثها على طلب الرزق بغير الشعر وهو من انفس القول في الحض على العمل حيث يقول

الى كم ذا التخلــف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي يبيع الشعر في سوق الكساد
وما ماضي الشبـــاب بمسترد ولا يوم يمر بمستعـــاد

وقوله يدلك في البيت الاول على ان ثيابه كانت بالية وفي البيت الثاني على

---

(١) خشب الرحل (٢) بعير ينسب الى فحل كريم اي الجليل

انه كاد ينتحر من شدة البؤس

الى اي حين انت في ذي محرم　　وحـــتى متى في شقوة والى كم
والا تمت تحت السيوف مكرماً　　تمت وتقاس الذل غير مكرم
فثب واثقاً بالله وثبة ماجـــــد　　يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

فهذه الابيات قالها المتنبي عن نفسه في طور بؤسه وهي تكفي لتمثيل حاله فتريك نفساً عالية في ثياب بالية وشاعراً مجيداً طرحه الزمان بعيداً مع انك لا تجد شعراً ابهج واروع ولا قولا احكم واجمع ولا مدحاً ابلغ وامنع من شعره . وانك لتعجب حين ترى ان هذا الشعر النفيس في تلك النفس الكبيرة كان سبب شقاء قائله وعلة الامه في حياته وانه اخذ بناصيته الى حتفه. ولكن اتدري ما السبب في ذلك ترى السبب اذا فحصت شعره يرجع الى اربعة امور اولها ان المتنبي كان مبغضاً للناس كلهم سيء الظن بهم ، الثاني انه كان شديد الكبرياء فخوراً بنفسه محقراً لما عداها،الثالث انه كان اذا هجا افحش في الهجاء، الرابع انه كان اذا مدح اميراً عرض في مدحه بذم الناس جميعاً او ذم من مدحهم قبله فهذه الخلال الاربع حملت الناس على البعد عنه والنفور منه وجعلته هدفا لسهام حساده وحالت بينه وبين مراده واليك بيانها . اما الاول من هذه الخلال الاربع وهو بغضه للناس وسوء ظنه بهم فيظهر لك من بيان رأيه فيهم بقوله :

ودهر ناســـــه ناس صغار　　وان كانت لهم جثث ضخام
وما انــا منهـم والعيش فيهـم　　ولكن معدن الذهب الرغام[1]
ارانب غير انهم مـــــلوك　　مفتحـة عيونهم نيـــــام

---

(١) اي التراب

وبقوله زاعماً انه اكلهم تجربة اذا كان غيره قد ذاقهم فقط حيث يقول :

اذا ما الناس جربهم لبيب   فاني قد اكلتهم وذاقا
فلم ار ودهم الا خداعا   ولم ار دينهم الا نفاقا

وبقوله مستبيحاً اهلاكهم :

ومن عرف الايام معرفتي بها   وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به   ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

يريد ان من يقتل هؤلاء الناس بلا رحمة لا يعد ظالماً لانهم اذا ظفروا به قتلوه بلا رحمة ايضاً فاذا بدأهم هو بذلك فلا اثم عليه البتة ويقول واصفاً لتفاوت الناس في النقائص

اذم الى هذا الزمان اهيله   فاعلمهم فدم واحزمهم وغد

والفدم الغبي الذي في منطقه ثقل والوغد الخسيس من الناس
ثم يقول :

واكرمهم كلب وابصرهم عم   واسهدهم فهد واشجعهم قرد
ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى   عدوا له ما من صداقته بد

ويقول هذا في قصيدة يمدح بها اميراً يسمى علي بن سيار فذم الناس جميعاً لم يستثن منهم احداً حتى ولا الممدوح وعد صداقته لهم من نكد الدنيا ولعمري ان الممدوح لو مدح في هذه القصيدة بماية بيت لما غيرت فكره بانه هو المقصود في قوله عدواله ما من صداقتهم بد. واما بيان الثاني من الامور الاربعة وهو انه كان شديد الكبرياء فخوراً بنفسه فيظهر لك من قوله

انا الذي بين الاله به   الاقدار والمرء حيثما جعله
جوهرة تفرح الشراف بها   وغصة لا تسيغها السفلة

ومن قوله معجباً بنفسه

ان اكن معجباً فعجب عجيب   لم يجد فوق نفسه من مزيد
انا ترب الندى ورب القوافي   وسمام العدى وكيد الحسود
انا في امة تداركها   الله كصالح في ثمود

يقول ان اكن معجباً بنفسي فانا جدير بذلك لاني لم اجد فوقها نفساً ثم بين في البيت الثاني منازله في العالم وفي البيت الثالث سأل الله ان يهدي الامة الى الصواب فتعرف قدره وتؤمن برفعته عليها وقوله

انا صخرة الوادي اذا ما زوحمت   واذا نطقت فانني الجوزاء

اي لا يجسر احد على مزاحمته لصلابته واذا تكلم فكلامه امر لا يرد وحسبك من هذا الباب قوله :

امط عنك تشبيهي بمن وكانه   فما احد فوقي ولا احد مثلي

اي لا تقل ما اشبه المتنبي بفلان او كانه فلان فليس فوقي احد بل ليس مثلي احد وقد مر بنا قوله

اي محل ارتقي   اي عظيم اتقي
وكل ما خلق الله   وما لم يخلق
محتقر في همتي   كشعرة في مفرق

فهذه الاقوال كلها تدلك على مدى كبريائه وتمهد العذر لاعدائه فهذه مظاهر كبرياء المتنبي وهي لا تجعل له في الناس محباً .

واما بيان الثالث وهو انه اذا هجا افحش في الهجاء وهو شيء يعجب الباحث في اخلاق المتنبي منه حين يراه مع علو نفسه وترفعه عن كثير من النقائص يفحش في هجائه فيطعن في الانساب ويقذف المحصنات ثم لا يجد لذلك من باعث غير

سوء ظنه بالناس وشدة بغضه لهم وانا نكتفي بايراد امثلة قليلة من هجائه تأييداً للسبب في نفور الناس منه فمن ذلك قوله يهجو القاضي الذهبي

لما انتسبت فكنت ابناً لغير اب ... ثم اختبرت فلم ترجع الى ادب

سميت بالذهبي اليوم تسمية ... مشتقة من ذهاب العقل لا الذهب

فمثل هذا القذف المر تنفر منه نفس الحر لا سيما في عالم من كبار علماء الاسلام كالقاضي الذهبي ومن ذلك هجاؤه لاسحق بن كيغلغ على غير ذنب سوى انه اعترضه اثناء سيره بالقرب من ارضه وطلب منه ان ينزل عنده ليمدحه فاعتذر المتنبي فلما فارقه هجاه بقصيدة مدح بها ابا العشائر وعرض في الهجاء باهل اسحق تعريضاً لا يحسن ذكره لما اشتمل عليه من فحش القول وانما اذكر ما ذكره وما قاله في هجاء اسحق نفسه وهو قوله

وجفونه ما تستقر كأنها ... مطروفة او فت فيها حصرم

واذا اشار محدثاً فكانه ... قرد يقهقه او عجوز تلطم

وتراه اصغر ما تراه ناطقاً ... ويكون اكذب مايكون ويقسم

واعجب من ذلك ان اسحق هذا قتله غلمانه فلم يكتف المتنبي بموته بل هجاه ميتاً وهذا من اسوأ ما جاء به حيث قال

قالوا لنا مات اسحق فقلت لهم ... هذا الدواء الذي يشفي من الحمق

ان مات مات بلا فقد ولا اسف ... او عاش عاش بلا خلق ولا خلق

منه تعلم عبد شق هامته ... خون الصديق ودس الغدر في الملق

وحلف الف يمين غير صادقة ... مطرودة ككعوب الرمح في نسق

ما زلت اعرفه قرداً بلا ذنب ... خلواً من البأس مملوءاً من النزق

كريشة في مهب الريح ساقطة ... لا تستقر على حال من القلق

الى ان قال :

فســـائلوا قاتليه كيف مات لهم   موتاً من الضرب او موتاً من الفرق
واين موقع حد السيف من شبح   بغـير جسم ولا رأس ولا عنـق
لو لا اللئـام وشيء من مشابهة   لـكان ألأم طفل لف في خرق

هذه امثله من هجاء المتنبي قبل اتصاله بسيف الدولة فلما اتصل به خفت وطأة لسانه لاتساع نعمته في صحبته و بعد ان فارقه هجا كافوراً بعد مدحه وهجا ضبة العتبي وعرض بامه بقول كان سبباً لقتله

واما بيان الامر الرابع وهو انه اذا مدح اميراً عرض في مدحه بذم الناس جميعاً فهذه عادة لم يأت المتنبي باغرب منها ولم ارها لشاعر غيره وقد لزمته طيلة حياته في جميع قصائده فما مدح احداً الا وفضله على جميع الناس وتفنن في هذا المعنى تفنناً عجيباً فمن ذلك قوله في قصيدة مدح بها محمد بن عبد الله الخطيب معرضاً بذم الناس وملوكهم قال فيها :

وانما نحن في جيـل سواسيـة   شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق   تخطي اذا قلت في استفهامها بمن
ولا اعاشر من املاكهم ملـكا   الا احق بضرب الرأس من وثن

فانت ترى انه لم يستثن احداً من الذم ومن ذلك قوله في الحسن بن عبيدالله

كريم لفظت الناس لـما بلغته   كانهم ما جف من زاد قادم
وكان سروري لا يفي بندامتي   على تركه في عمري المتقدم

فافرد الممدوح وذم الناس ومنهم ممدوحه الاول طبعاً، وقوله في علي بن ابرهيم التنوخي :

[library stamp]

اشرت ابا الحسين بمدح قوم   نزلت بهم فسرت بغير زاد

وظنوني مــدحتهم قديمــاً   وانت بما مدحتهم مرادي

يقول انه كان مدح من مدحهم قبله ولــكن خرج من عندهم بغير زاد وانه لم يكن مادحاً لهم في الواقع بل كان هو اي علي بن ابرهيم التنوخي المقصود

وقوله في عبد الله بن يحيى :

بمن اضرب الامثــال ثم اقيســه   اليك واهل الدهر دونك والدهر

وفي ابي عبادة

لما وزنتك بالدنيــــا فملت بهــا   وبالورى قل عندي كثرة العدد

وفي بدر بن عمار

ومثلك يا بدر لا يكون ولا   تصلح الا لمثـــلك الدول

وقوله فيه مكرراً هذا المعنى ايضاً

سبقت السابقين فلا تجارى   وجاوزت القلوب فلا تعالى

وأقسم لو صلحت يمين شيء   لمــا صلح الانام له شمــالا

وقوله في ابي شجاع محمد

امريد مثل محمد في عصرنا   لا تبلنا بطلاب ما لا يلحق

لم يخلق الرحمن مثل محمد   احداً وظني انه لا يخلق

وفي علي بن احمد الطائي

الا كل سمح غيرك اليوم باطل   وكل مــديح في سواك مضيع

ولا ثوب مجد غير ثوب بن احمد   على احــــد الا بلوءم مرقع

وفي جعفر بن كيغلغ

من قال لست بخير الناس كلهم   فجهــله بك عند النــاس عاذره

او شك انك فرد في زمانهم   بلا نظير ففي روحي اخاطره

وفي علي بن عساكر

اری الناس الظلام وانت نور وانی منهم لأليك عاش

وفي طاهر بن حسين العلوي وخرج فيه عن حد الذوق

ويحذى عرانين الملوك وانها لفي قدميه في اجل المراتب

فهذه هي سنته في مدح امراء عصره وهي لا تجعل لهم ثقة بمدحه

هذا ما ظهر لنا من نفسية المتنبي واخلاقه حسبما تأملناه وظهر لنا من فحص شعره وبالختام نسئله تعالى ان يصفح عما زل به القلم مصلين ومسلمين على من اوتي جوامع الكلم .

اصلاح التعليم العالي في المانيا[1]

ان نظام التهذيب الالماني الذي ضربت بشدة حسنه الامثال انقلب شكله في السنوات العشر الاخيرة انقلاباً في غاية الخطورة . ولقد كان ذاك النظام يحمل بين جنبيه من التشدد في المرمى والصلابة في الترتيب والسعة في المناهج والتعمق فيها ما شهد له القاصي والداني ، وكانت له فوق ذلك كله تلك الدعامة الادبية الشهيرة (الكلاسيكية) . ان المدارس التي انشئت فی سابقات الايام مثل مدارس النحو (الجمناز) والمدارس العالية ذات القسم الادبي الاختياري (رئال جمناز) اصبحت بعيد الحرب هدفاً لمهاجمات عنيفة . ولم يقم بهذه المهاجمات اولئك الذين كانت نزعتهم التشكك في فضل التهذيب الادبي (الكلاسيكي) الذي يشوبه شيء من الجفاف في وقت تتزايد المطالب العلمية والمدنية فيه وتتعالى فوق كواهل الطلاب

---

(١) نقلت عن الانكليزية بتصرف

الاحداث . بل قام بها خصوصاً طائفة من حملة الاصلاح المدرسي فطالبوا بالتشدد الخاص في تنشئة ما يمكن ان يدعى « المبادئ الانكليزية للتهذيب الخلقي »

على ان الصعوبات لم تنحصر في منطقة المدرسة العالية . فان المساق الدراسي ذا السنوات التسع في مختلف انواع المعـــاهد العلمية والمسبوق بالطبع بتعليم ثلاث سنوات او اربع في المدارس الاستعدادية او العامة يؤدي الى شهادة انتهائية توصل في دورها مباشرة الى اية جامعة من الجامعات او الى اي معهد من المعاهد الفنية في المانيا . ان التزايد العظيم في عدد الطلاب الجامعيين بعد الحرب وبخاصة في سنوات الضيق اظهر حالا انه بينا كان من المستحب وضع العقبات في سبيل تدفق الطلاب والتحاقهم بالجامعات ، كان من المستحيل تنظيم منهاج دراسي مستوف للمدرسة العالية وليس مقصوداً به من اول الامر اولئك الذين يودون متابعة دراساتهم العلمية والتوسع فيها في الجامعات . ولعدم وجود شهادة متوسطة مثل شهادة بكلوريوس علوم واستاذ علوم صارت شهادة الدكتوراه الالمانية القديمة والمحترمة كل المحترمة تعتبر معادلة في قيمتها الاجتماعية، ان لم تكن العلمية، للبكالوريا الاميركية.

ان تغلب المواد « العلمية » المشؤوم في منهاج التعليم في المدرسة العالية مما كان له بعض الاثر في هبوط المقاييس التهذيبية العام قد خفت وطأته في السنوات الاخيرة .

وقد جرى منذ آذار سنة ١٩٣٧ تغير عام في شكل جميع الانظمة المدرسية الالمانية ، و بوشر في الغاء مختلف انواع مدارس الذكور والاناث وانشاء نوع موحد الشكل رئيسي يدعى (او برشولي). ونقح ايضاً منهاج هذا النوع من المدرسة

تنقيحاً محكماً على نحو ما ياتي :— (١) تعلم لغتان اجنبيتان فقط تعلما اجبارياً وقد كان في ما مضى تعليم ثلاث لغات، وفي بعض الاحايين اربع، اجباريا(٢) ان القسم الاعلى لمدرسة (اوبرشولي) للذكور ينبغي تقسيمه الى فرعين متميزين، الواحد يخصص باللغات والآخر بالعلوم الطبيعية والرياضية . وعدا هذا النوع الرئيسي من التعليم الثانوي انشئت مدرسة متوسطة خاصة اسمها (أوفباوشولي) يلتحق بها الطلاب، بعد ان يقضوا سنوات ستاً في المدرسة الابتدائية العامة المدعوة (فوكشولي) . وسيكون من امر هذه المدرسة ان تجعل واسطة لنقل التلامذة الابتدائيين الموهوبين الى الدورة المدرسية الثانوية ، وستمثل ايضاً نوعاً من المدرسة الثانوية لابناء المناطق القروية حيث لا يتيسر للتلامذة الالتحاق بالمعاهد التهذيبية العالية بعد السنوات الاربع التي يقضونها في المدرسة الابتدائية. ومدارس (الاوفباشولين) هذه ستدار شؤونها على نحو ما يجري في المدارس الداخلية، وليس ثمة من تقسيم في الدروس في صفوفها العالية .

اما مدرسة الجمناز القديمة فستستمر ولكنها تكون اشبه شيء بمدرسة اضافية من المدارس الثانوية . وفيها تدرس اللاتينية من اوطى صفوفها ، واليونانية من الصف الرابع، والانكليزية من السنة السابعة فصاعداً.

وثمة تغيير من ادهش التغييرات وهو ان المدرستين المدعوتين اوبرشولي واوفباوشولي تبتدئان في تدريس الانكليزية كاول لغة اجنبية اجبارية . اما اللغة اللاتينية فتعلم وحدها كلغة اجنبية ثانية على خطة واحدة في جميع المدارس الثانوية من السنة الثالثة فما فوق . وربما كانت اللغة الثالثة الاجنبية في الاقسام العليا هي اللغة الافرنسية ، وان كان من الممكن اختيار لغة اجنبية اخرى بدلا منها عند ما تسمح الظروف بذلك .

وغير خاف ان جميع مدارس البنات ينبغي ان تـكون من نوع او برشولي ومقصورة في الصفوف الدنيا والوسطى على تعليم الانكليزية كاللغة الاجنبيـــة الوحيدة . وفي الصفوف العليا التي تتألف منها مدرسة الفروانشولي تجد مساقاً دراسياً يستغرق سنة واحدة او ثلاث سنين ، ويوجه الانتباه الى علم تدبير المنزل وتدرس فيه الانكليزية كاللغة الاجنبية الاولى والوحيدة .

ولا يمكن ان يكون قد اسرف في تقدير اهمية هذه التغييرات التي اخذ اولو الامر انفسهم بتنفيذها. فان السيطرة القديمة التي كانت لمدرسة الجمناز الكلاسيكية قد تحطمت وآثر رجال التهذيب دراسة اللغات الحديثة واللغة الالمانية والجغرافيا والثقافة البدنية . ولقد احلت الانكليزية محلا له خطورته ونجم عن ذلك ان افل نجم الافرنسية التي كانت هي الاثيرة قبل ذلك التغيير.

على ان اهم ناحية في المساعي المبذولة الآن لوضع حد لافراط شباب الالمان في الالتحاق بالمدارس هي الهبوط بمدة الدراسة من ثلاث عشرة سنة الى اثنتي عشرة . فبعد ان كان الطالب يتناول الشهادة المدرسية الانتهائية في التاسعة عشرة من عمره او العشرين ، صار الان يبرح المدرسة وهو في الثامنة عشرة او السابعة عشرة . وقد زيدت ساعات التعليم خمساً كل اسبوع تعويضاً عن هذه الخسارة في الوقت .

ان الجامعات خسرت من الجهة الاخرى شطراً كبيراً من جاذبيتها في كونها مؤسسات «استمرار» تتابع فيها التهذيب تلك المدارس والمخيمات التدريبية العديدة التي اسست من عهد قريب وهي اقل انفصالا مما كانت عليه الجامعات القديمة. فان ارقام تسجيل الطلاب في الجامعات والكليات تحسر اللثام عن نتائج التشدد

في تطبيق ما حدد من عهد قريب من عدد الطلاب الذين يلتحقون بتلك المؤسسات . والارقام التي علت علواً غير طبيعي في فصل الصيف من سنة ١٩٣١ وهي مئة وثلاثون الف طالب للديار الالمانية جمعاء هبطت الى ما يقرب من سبعين الفاً والخطب التي كانت تلقى سنة ١٩٣٢ في شتى المواضيع و بخاصة في الآداب والعلوم الاجتماعية ، وكان يحضرها مئتا طالب، امسى العدد المسجل الذي يحضرها يتراوح بين العشرين والخمسة والعشرين.

وليس ثمة من اجتماع لكلمة المعلمين على قابلية هذه الخطة الجديدة للتطبيق ووضعها في حيز العمل . فانه، بينا نرى ان القوم يترحبون كل الترحيب بتسهيل النظام المدرسي في مجموعه تسهيلا اجمالياً، نجد انه من بواعث الاسف ان تلغى اللغة اللاتينية كلغة اجنبية اساسية . بل هناك امر وهو ان الاهتمام المتزايد بالتربية البدنية في ساعات الدراسة داخل المدرسة وخارجها ، وتدخل الواجبات السياسية بعمل الطلاب الثابت تدخلا لا ندحة عنه يكاد لا يفسح المجال للظروف المؤاتية التي تختبر فيها صحة هذا المشروع الجديد وحيويته .

حبيب الخوري



من وسائل التذاذ الاطفال بدرس التاريخ

اتيت في مقال سابق على ذكر بعض الاسباب التي تحول دون التذاذ الاطفال بدرس التاريخ واليوم استأنف البحث في هذا الموضوع لاعرض بعض اقتراحات اظنها مفيدة لجعل دروس التاريخ مشوقة لاذة .

نعلم نحن الكبار من اختباراتنا الخاصة ان التفاصيل اللاذة التي نقرؤها عن حادثة من الحوادث او عن عظيم من العظماء تشوقنا كثيراً وتضاعف التذاذنا بالموضوع الذي كتبت عنه وتطلعنا على نواح حقيقية عن حياة العظيم او عن مجرى الحادثة التاريخية ونستشهد بهذه التفاصيل اللاذة على صحة ما قرأنا من الاخبار في الكتب التاريخية او غيرها على ان هذه التفاصيل اللاذة لا تقف في فائدتها عند مضاعفة التذاذنا بالموضوع والقاء النور على بعض نواحيه المبهمة فحسب بل تجعلنا اقرب الى تخيل الحادثة والى تكوين صور ذهنية عنها والصور الذهنية — كما هو معلوم — لا تتكون في الدماغ بالعبارات المجملة بل لا بد لها من وصف مفصل لاذ يساعد على تكوينها . والصغار احوج الناس الى تكوين هذه الصور الذهنية « Mental Pictures » والى ما يساعدهم على تكوينها فقد يقرأون او يسمعون ان عمر بن الخطاب جاء القدس يوم أبى بطريركها تسليمها الا له ولكنهم لا يستطيعون ان يتخيلوه وهو يطوف مع صفرونيوس في معابد القدس واماكنها المختلفة الا اذا قرأوا او سمعوا تلك التفاصيل اللاذة التي رويت عن هذه الزيارة ليتخيلوه وهو يحادث البطريرك صفرونيوس وينتقل معه من مكان الى اخر وكذلك فهم يقرأون في بعض الكتب التاريخية ان احشويرش ملك الفرس عبر الدردنيل وقاد جيشه بنفسه عن طريق الجبال الى بلاد اليونان ولكن خطورة

هذه الغزوة لا تتجلى لهم الا اذا سمعوا تلك التفاصيل الطريفة التي احاطت باخبار هذه الغزوة وكيف ان الملك الفارسي اعد جسراً عائماً من القوارب عبر عليه الدردنيل وكيف انه صف الاخشاب على هذا الجسر وغطاها بالتراب ثم جعل على جانبيها احفة لتسهيل مرور الخيل عنها لئلا تجفل من رؤية الماء وكيف ان الجيش لكثرة عدده قضى اياماً وهو يعبر على هذا الجسر العائم. ان هذه التفاصيل وامثالها تكون في دماغ التلميذ صوراً ذهنية تجعله يتخيل حركة الجيوش الفارسية كانه يراها .

الا نقصد نحن الكبار دور التمثيل والصور المتحركة لنشاهد تمثيل رواية تاريخية قرأنا اخبارها في الكتب ألم نكتف بما قرأنا عنها ألم تتمثل لنا واضحة جلية من خلال السطور ؟ اننا بالرغم من قوة خيالنا نشعر بالرغبة في الاستزادة مما يقرب اخبار الحادثة التاريخية من الواقع المحسوس واذا لم نجد هذه التفاصيل من الكتب الموجودة في ايدينا عمدنا الى الخيال نستوحيه هذه التفاصيل نصوغها في قالب قصة ممتعة كما فعل المرحوم جرجي زيدان في الروايات التي كتبها في تاريخ العرب وكما فعل غيره في الروايات المسرحية مثل رواية وفود العرب على كسرى وواقعة ذي قار وغيرهما من الروايات التي لم توضع الا لتقرب جمهور النظارة من حقيقة الخبر وتصوره تصويراً قريباً من الواقع .

حين زف الفاروق ملك مصر الى عروسه فريدة ذي الفقار أقبل الكبار والصغار على السواء على قراءة المجلات المصرية التي صدرت بعد حفلات الزفاف ليقرؤا عن اخبار الولائم التي اقامها المليك لفقراء شعبه والعلب الفضية التي اهداها لعظماء مملكته والهدايا التي أهداها اليه أمراء المصريين وملوك الشرق والغرب وما ذلك الا لأن الناس مولعون بسماع الأخبار الطريفة وهم لن يقنعوا بكل ماقرأوا

عن أخبار هذا العرس في الجرائد والمجلات فسيزدحمون على ابواب محلات السينما المتحركة اذا قيل لهم ان مشاهد هذا الزفاف سوف تعرض على الشاشة البيضاء.

فكيف نكتفي بعد الذي عرفناه عن ولوع الناس بالاخبار الطريفة اللاذة باعطاء تلاميذنا الصغار حقائق جافة لا حياة فيها ولا جمال ثم نتبرم بعد ذلك من ضجرهم ومللهم ؟ كم مرة حادث المعلمون أطفالهم عن حياة المأمون بن الرشيد واكتفوا في حديثهم عن النزاع الذي قام بينه وبين أخيه الامين وعن عظيم شغفه بالعلم واكرامه العلماء ولم يذكروا لهم شيئاً عن زواجه بفتاة عصرها بوران ابنة الحسن ابن سهل . هل حدثوهم عن جلال موكب الخليفة يوم سار من بغداد الى فم الصلح حيث كانت عروسه تقيم مع ابيها ؟ هل حدثوهم عن شموع الند التي كانت تزن الواحدة منها عشرات الارطال والتي كانت وهي تشتعل تملأ ارجاء القصر باريجها العطر، هل حدثوهم عن الهدايا التي وزعت على عظماء المملكة وعن الدنانير التي نثرت على عامة الشعب ؟ أن اخبار عرس المأمون تطلع الناشىء على جانب من حياة البذخ في أيام العباسيين وتصور له هذه الحياة على حقيقتها. فقد سردت أخبار هذا العرس لتلاميذ صف ابتدائي في احدى مدارس لندن يوم كنت أتمرن على التعليم وذلك يوم زفاف الامير جورج المعروف بدوق كنت الى عروسه الاميرة اليونانية فسر التلاميذ باخبار هذا العرس وفي اليوم التالي كتبوا موضوعاً انشائياً عنه .

فرجائي الى اخواني المعلمين ان يتحفوا تلاميذهم بمثل هذه التفاصيل اللاذة التي سقت أمثلة عنها وان لا يدخروا وسعاً في سبيل الحصول عليها ففي امهات الكتب التاريخية وكتب الادب العربي طائفة غير قليلة منها ورجائي الى رؤساء

المدارس ان يزودا مكتبات مدارسهم بما استطاعوا من مثل هذه الكتب ليستمد منها المعلم ما يحتاجه من هذه التفاصيل حتى لا تظل دروسه مقصورة على الحقائق الجافة .

ادارة المعارف العامة　　　　احمد الخليفة

القدس

طرق اتصال افريقيا بشبه جزيرة العرب

وقفنا على خطاب قيم حاضر به المستر فلبي جمعية الفنون الملكية ونشرته مجلتها تحت عنوان : (طرق اتصال افريقيا بشبه جزيرة العرب) فرغبنا في ان نبسط مجمله لقراء صفحة الكلية العربية :

ربما لا يزال في قيد الحياة أناس ممن شهدوا القارتين آسيا وافريقيا تتزاحفان فوق البرزخ المشترك بينهما قبلما فتقته عبقرية الانسان ، فاصبح بعد ذلك لا يجاوز اليهما منهما بغير عبور قناة مائية ، وان مصر اليوم لتضم وحدها مجمع بينهما . وقد كان طول هذا البرزخ قديما عشرة امثاله قبل حين. وكما يذكر البشر ما كانت عليه هذه الارض البراح قبل ان يخط الماء وسطها باسم قناة السويس فكذلك تذكر الطبيعة ان البحر الاحمر لم يكن منذ مليون سنة الا مفازة بين القارتين ، ثم عكفت على عملها فاذا بترعة كبيرة ، هي البحر الاحمر ، تظهر خلالها . هذه هي اقدم طرق الاتصال الافريقية ببلاد العرب وما تزال معالمها شاخصة .

ولدينا اتصال أحدث مما تقدم ، فقد قبع الأنسان ضمن حدوده الجغرافية لا يبرحها مليون سنة ، أي منذ تشكل البحر الاحمر حتى أول ما استقصى من

التاريخ البشري ، وكانت شبه جزيرة سينـاء ، بتوسط موقعهـا ، تيسر وتسهل للبشر سبيل الهجرة من آسيا الى افريقيا و بالعكس . ويرتأى ان اول هجرة كهذه كانت بعد معصية الانسان الاولى ، فنازع الطبيعة: حيواناتهاونباتاتها، احتكارها ايجاد الصلات بين القارتين .

ما زالت افريقيا منذ القدم تمد نحو بلاد العرب — مقدمة آسيا وطليعتها— أواصر الاتصال ووشائجه ، فاول ما تأثر بذلك من بلاد العرب جنو بيها الغربي ثم ما لبث ان اتهم ذلك التأثير وأعلى على كر الدهور التاريخية وما قبلها . وقد حور التزاوج والتوالد بين الافريقيين والعرب الجنسين تحويرا اعيا علماء مزايا الشعوب ان يقطعوا في أمرهما برأي حاسم ، وقد دلتهم ابحاثهم يقينا على ما فيها من شواذ جمة أن بلاد العرب موطن الساميين من العرب واليهود وغيرهما ، وأن افريقيا متبوأ الشعب او الشعوب التي لا تمت الى الساميين بصلة .وعلى ذلك فقد أمست بلاد العرب اليوم تضم درجات وطبقات من هذين الجنسين ممن يغلي في عروقه الدم الافريقي الخالص الى من ينبض عرقه بدم العروبة العريق .

سأقدم بين يدي محاضرتي هذه خطة أنتهجها في البحث عن طرق اتصال افريقيا ببلاد العرب :

١ — ما قبل التاريخ :

١ — المناخ ،

ب — طبقات الارض ،

ج — الحيوان .

٢ — ما بعد التاريخ :

ا — تنقل السكان بين أفريقيا وبلاد العرب ،

ب — تأثير افريقيا على مدنية العرب القديمة ما بين

١٥٠٠ ق . م — ٥٠٠ ب . م

ج — جهد افريقيا الاخير في احتلال بلاد العرب ،

وأسطورة عام الفيل .

د — هجرة الافريقيين لبلاد العرب واستيطانهم فيها منازل ملائمة نحو سيف البحر الاحمر .

ه — تغلغل العنصر الافريقي في بلاد العرب لمسافات بعيدة باحثا عن أعمال زراعية .

و — نفوذ الافريقيين الى قلب العنصر العربي : باستعباد العرب اياهم ، أو تعبدهم للعرب بعد هجرتهم لبلادهم .

ز — الحج الى مكة .

وساجعل البحث فيها يبتدئ من الحج وينتهي بما قبل التاريخ

فرض الحج على المسلمين في المشارق والمغارب ، فنبى داعيه الى مكة — محور العالم الاسلامي — من كل فج عميق من استطاع اليه سبيلا . يمتطي الجواري في البحر ، او السوابح في الجو ، او السيارات ، او المطي ، او جاءه يسعى على قدميه ، ولو لا الحج لانفصمت عرى صلات القارات الثلاث ببلاد العرب وهي المطبوعة على الجدب والفقر والخطر . والحج امر شاق على الافريقي وقد يستغرق بعض حياته او جلها . قدم حاج افريقي يوماً الى جدة فادعى انه طوى من عمره مئة وعشرين ربيعاً انفق منها وهو يدأب على قدميه في سبيل الحج نحو تسعين عاماً ، فرحل من « كانو » — مسقط رأسه — في غرب افريقيا . وكان في الخرطوم قبيل موت الجنرال غوردون ، اي انه جاب ما بين هذين البلدين في

خمسين سنة . ثم مكث في الخرطوم سنين يدرس فيها العلم والفلسفة حتى نال منها نصيباً . وها هو قد أدت به خاتمة الطواف الى جدة . وكان المحاضر يوماً مع صاحب له يسوق سيارته في اتجاه المدينة ، فمر بثلاثة زنوج افريقيين ، احدهم حدث جاوز الثانية عشرة من عمره ، يفحصون بالمعزاء شدا . وقد انقض ظهورهم ورؤسهم اثقال لهم ، فاوقفا السيارة ليضعا عنهم حملهم . فاكبر الزنوج هذه المعونة واخذوا يوسقون احمالهم على المقعد الخلفي ؛ وما كان اشد عجب المحاضر ورفيقه لما الفيا ان افراد هذه الجماعة قد زادت اربعة صغاراً اخرين ، كان قد احكم ربطهم بين الاحمال لعجزهم عن تحمل وعثاء السفر ومشاقه مسافة مئتين وخمسين ميلا نحو المدينة . وقد علما ان الزوجين غادرا بلدهما في غرب افريقيا والحدث طفل لا يعي . وكانا يقيمان من عيشهما بما يزاولانه من الاعمال في الاقطار التي يحلون فيها، وفي السودان استخدما في زراعة القطن . وكانت المرأة ولوداً تضع في كل سنة ، ولكن الموت كان يسطو على بعض اطفالها فيخفف عنهما بعض عنائهما ، على انه ابقى على خمسة ، قدما بهم الى مكة ، فحجوا جميعاً ، وها هم قد وفدوا الى المدينة لزيارة قبر النبي ؛ واذا ما تم لهم ذلك رجعوا في حافرتهم نحو وطنهم.

لا يعود اولئك الحجاج الافريقيون جميعهم لاوطانهم ، وحيثما وقعوا على عمل في مكة او جدة او غيرهما اقاموا يعملون فيه ما اتسع لهم الامر . فلم يكن عندهم من حافز يحثهم على الاوبة لبلادهم كما يحدو بمهاجرة الحضارمة في جزر الهند الشرقية اذا ما قضوا لباناتهم الاقتصادية فيها . وقد يعسر بعض اولئك الزنوج فلا يجد ما يسد رمقه ، فيعرض ما زاد عن حاجته من اطفاله في سوق الرقيق وفي الازمان الخالية ايان سادالبيئة العربية السلب والنهب والاغتصاب ، كان الاباء

والابناء يقعون في قبضة البدو الاشداء او تجار الرقيق الجفاة فيسومونهم سوء العذاب

ورب ام وطفل حيل بينهما كما تفرق ارواح وابدان

وتهافت تجار الرقيق من قبل على تهامة يتخاطفون اولئك الزنوج و يبيعونهم عبيداً في اقاصي البلاد لقاء دريهمات معدودة ، وجمع هذا القبص من العبيد في بلاد العرب من عناصر شتى اشهرها : (١) الاحداث الافريقيون الذين باعهم والدوهم من إملاقهم وهم في بلاد العرب (٢) والاحداث الافريقيون الذين سلوا عن ابائهم إبان الحج (٣) وافريقيو تهامة — جنوب غربي بلاد العرب — ممن باعهم اهلوهم او اغتصبوا من بين ايديهم ، (٤) افواج الزنوج الذين سيقوا من قلب افريقيا ارسالا وقسراً حتى شواطئ الصومال والارتيريا والسودان ثم عبر بهم البحر الى بلاد العرب فشروا فيها عبيداً.

يشتد الميل في بلاد العرب الى انقاص دهماء العبيد فيها · وييسر ما استعصى من امره قبل اليوم تحريم الحكومة السعودية ما كان يقترف في سبيله من اساليب فظة قاسية ، وتشريعها ما يمكن العبد من التحرر ؛ فكل عبد يبرهن على انه ولد حراً ، وكل امة تلد لمولاها ولداً ، تحرر رقبتهما من نير العبودية . ولايبقى في العبودية الا من كان عريقاً فيها ، وهؤلاء حض القرآن على تحريرهم وشرع لهم ما يؤدي بهم الى ذلك . على ان العبيد الذين يعتقون من وثاق الرق لايطيقون ان يحلوا عقاله عنهم ، بل يعوذون منه اليه ، وان حملوا على التحرر آثروا البقاء في حاشية اسيادهم خولا وتبعا . فقد عرفنا فتى سودانياً ، سبي صغيراً ، و بيع عبداً، فاكرم مولاه مثواه ، وعلمه فن سوق السيارات ، وجعله سائق سيارته الخاصة .

ثم مرت السنون ، وجاء بعض ادانيه من الافريقيين يحجون، فعرفوه وهو ينكرهم وعرضوا عليه ان يحرروه ، فابق منهم على حين غفلة الى مولاه يستعديه عليهم. وقد ابتدع جلالة ابن السعود وامراء مملكته بدعة حسنة في تخفيض عدد عبيدهم ، بان يعتقوا منهم في كل حجة جمعاً كبيراً ؛ ولكن لم نعلم ان احداً من اولئك العبيد برح قصر اسياده. و يعتاص على المرء ان يفرق في بلاط ابن السعود بين عبيد حرروا ومن لم يزالوا قيد العبودية . و يحظون كلهم بالجلوس الى مائدة الملك جنباً الى جنب مع الرجال الاحرار مما تمنعه مدنية اوروبا السامية !! وقد توسد المراتب السنية والدرجات الجليلة للعبيد . وانا نعلم عن بعضهم انه انيط بهم حكم مقاطعات وقد تبلغ الاماء قدر الاميرات .

ما نزال نسمع جعجعة من يحفلون بامر العبيد، و يقصدون منها تسويد صفحة العرب النيرة ؛ ألم يشع الرقيق في عهد الاغريق والرومان ، فهل غض من زاهر مدنيتهم او قصر من عريق انسابهم ؟ ولم لا يكون كذلك عند العرب؟ ولم نكيل اعتبار الحقيقة الواحدة بمكيالين مختلفين ؟ ان تعذر حصول المرء على طعامه الاساسي في بلاد مدقعة كبلاد العرب ، يجعل العبيد لا يتوقون لرفع نير العبودية عنهم ، فقد كفوا انفسهم مؤونة النصب في سبيل ذلك ، وعاشوا متكلين على اسيادهم فالعبد وحده قد اخلد الى الدعة والراحة في بلاد العرب التي يشقى احرارها في سبيل معاشهم . وقد اوصاهم النبي بعبيدهم خيراً . ان يطعموهم مما يأكلون ويكسوهم مما يلبسون . ومن العبث ان اسهب في القول في هذا المقام ، فان العبودية في بلاد العرب نظام اجتماعي تقبل عن طيبة خاطر ، ولا يعيبه ما يوجه اليه من انتقاد اعمى عاطفي ؛ ولو وقف هؤلاء الثرثارون المتفيهقون على جلية الامر وتبيانه لحصحص لهم الحق . فمنهم من توهم بان في شبه الجزيرة العربية نحو اربعة

ملايين من العبيد وتعقل بعضهم فجعلهم مليونين . افعند هؤلاء الذين باتوا يهرفون بما لا يعلمون نبأ بان عدد سكان بلاد العرب المستقلة لا يربو على خمسة او ستة ملايين نفس !! وهل يصح في الافهام ان يكون العبيد في بلد ما نصف او ثلثي اهله ؟ اللهم ان هذا باطل ، واقرب منه شيب الغراب . ولكن دعنا نقلب الرأي في هذه المعضلة من وجهة اخرى . ان معدل ثمن العبد مئة جنيه ، ولو فرضنا جدلا ان في بلاد العرب مليوني عبد ، لقدرت ثروتها في الرقيق فقط مئتي مليون جنيه؛ ولكن باستطاعة جزء من الف من هذا المبلغ اي نحو مئتي الف جنيه ، لو توفر ، ان يحرر جميع عبيد بلاد العرب ، وانما يقعد العدم بهذه البلاد عن مثل هذا المبلغ ترصده لهذه الغاية . فالمسألة اذاً اقتصادية محضة . وما على المحسنين الذين يتألمون من عبودية اولئك الارقاء من سبيل اذا هم بذلوا من اموالهم المقنطرة جزءاً يسيراً لفك رقابهم، وانا بذلك زعيم.

سكن العنصر الافريقي في السهل الساحلي العربي اولا ثم تغلغل في الداخل ويعتقد ان جل سكان الواحات العربية اليوم هم من اصل افريقي عبدي جيء بهم ليعملوا في اراضي قبائل العرب الكبرى بالزراعة . اذ لا ينحط العربي من رفعته فيحرث أرضه بيده ويتعهد مزروعاته. ثم حرروا منذ اجيال ولكنهم لبثوا في اراضيهم أجراء عند سادتهم العرب ، ثم استأجروها منهم على ان يؤدوا اليهم من محصولها قسطاً معلوما فيجيئون الواحة لاستيفائه في فصل الحصاد فقط . وقد استن هؤلاء العبيد بسنن العرب في اساليب حياتهم وعاداتهم وصار العربي لايأنف من الاقتران بفتياتهم ، ولكنه لم يتأت أنه أذن لاحد من هؤلاء العبيد ، مهما نبه ذكره، أن يتزوج من فتاة عربية مهما وضع قدرها. نشأ عن اقتران العرب بنساء العبيد شعب مزيج منهما يعرف ببني خضر ، ينتمي اليه اغلب سكان

الواحات العربية ، والعربي العريق المحتد يعيرهم بمهانة أمومتهم العبدية ويستصغرهم وقد لزم هذا العنصر الافريقي اسم العبيد — للحر منهم أو المسترق — وربما كان هذا داعي التوهم بكثرة عديد العبيد في بلاد العرب .

أما في سهول تهامة فهنالك حالة مختلفة عما تقدم : زنوج افريقيون يعيشون في قرى افريقية على نمط افريقي ، فالمرأة لا تتنقب ،وتذهب انى شاءت،وتتعاطى أعمالا مختلفة ، وتعري أعلى جسمها حتى وسطها ، غير مبالية بحجبه كالعربيات ، وكذا يفعل الرجل . ويناسب هذا النوع من الحياة أوار حر سهول تهامة ورطوبتها الزائدة . ولا ينتفض المرء في تهامة ليل نهار من نفحات القر ، بل من لفحات الحمى ، نازلة ذلك القطر . ويمثل أفريقيو تهامة الهجرة العادية من أفريقيا الى بلاد العرب ، سواء أكان الباعث عليها فريضة الحج أم ضيق بلادهم بهم . وهم يعرفون أيضا باسم العبيد وان كانوا احرارا منذ هجرتهم اليها . وقد أمدوا سوق العبيد بسلعه زمنا . وتكاثف جمهورهم في تهامة يوما فيوما عمن التحق بهم من العبيد الذين حررت رقابهم أو من أبقوا من اسيادهم . ويملكون اليوم من اراضي المملكة السعودية في تهامة أخصبها .

إنه لو توفر المال لبث انظمة الري الواسع في بلاد العرب لأصبح سهل عسير تهامة — ومساحته نحو خمسة آلاف ميل مربع — جنة وارفة الظل شبيهة بدلتا النيل . وقل من يعرف أن في شبه جزيرة العرب أنهراً دائمة الجريان ،فقد كشف لي في رحلتي عن ستة منها تنساب في أودية جبال تهامة ، وتفيض مجاريها في فصول الامطار والفيضان حتى تصب في البحر ، أما في الاحوال العادية فتمتص سهول الدخن الرملية الواسعة ما يتدفق منها . وقديماً اقيمت سدود على مخارج الانهار من منطقة الجبال لخزن مياهها والاستفادة منها . ولا تزال آثار بعض

هذه السدود مائلة للعيان ، وقد كان المخلاف السليماني ينبوع ثروة ملوك اليمن في العصور الوسطى ، وبالوسع أن يعاد هذا المخلاف إلى سالف إنباته بقليل من المال، ولـكن إملاق بلاد العرب يحول بينها وبين هذه المشاريع المفيدة . وتغل التربة الرملية الخصيبة أربعة محاصيل من الدخن في السنة من بذار واحد . وينمو القطن في بلاد العرب ولـكنه لا يعنى به . وتتوفر زراعة السمسم لعصر زيته . وترعى قطعان المواشي والانعام ولا سيما العرج والـكلعة المراعي المعشوشبة الواسعة في الوديان وحضض المرتفعات . ويتألف غذاء الاهلين المعتاد من خبز الدخن واللبن، وتؤكل اللحوم إن وجدت . ومما اعجب له أن الافريقيين لا يأكلون البيض ولحم الفراخ التي تملأ القرية كأنما هي حشرات ، لأنهم لا يعرفون كيف ينضجونها ، وإن أنس فلا أنسى يوما قمت فيه أستاذاً في الطهي أعلم أهل القرية شي اللحوم وسلق البيض وغير ذلك ، وما كان أشد فشلي إذ عجزت عن أن استميل تلاميذي ليقاسموني ما هيأته بيدي .

قد يمر المرء اتفاقاً بمنازل مشيدة بالحجارة ويندر أن يجدها في قرى الافريقيين، فهم يأوون إلى أكواخ تشبه خلية النحل في شكلها ، وتصنع من أغصان آخذة ببعضها ، أو تبنى باللبن وتسقف بسوق الدخن . ومنها ما هو نظيف من داخله وخارجه ؛ نضدت فيه القدور والمقالي والأوعية والحصائر صفوفاً على شبه رف بارز من الحائط الداخلي . ويرقد الافريقيون ، خلافاً لما تعوده العرب ، على مضاجع خشبية طويلة أو على فرش من قش ترتفع على أربع أرجل . وذلك لأن جو بلادهم الرطب يسبب لهم الحمى من الجلوس أو الاضطجاع على الأرض . ويرغب كثير من الموسرين في أن يشيدوا منازلهم بالحجارة ، ولكني أعتقد أن الكوخ المخروط الشكل المبني باللبن والمسقوف بالقش والمحاط بساحة مرصوفة

بالطين كأنما هو البلاط ليجلس عليه في المساء ، أنسب لهذه البلاد من المباني الحجرية .

تشتهر من مدن تهامة ذات المقام الأول صبية وأبو عريش ، وتأتي حقو ، وعرضة وخوبة وغيرها في الدرجة الثانية بعدها . ولم تطأ أرض صبية رجل أجنبي غربي حتى العام المنصرم ، إذ رافقت اليها جماعة من علماء طبقات الأرض الأميركيين ، ومن المحتمل أن تكون روزيتا فوربس قد زارتها سنة ١٩٢٢ في طريقها إلى جيزان لتجتمع بالادريسي السيد محمد . وقد كانت واسعة يسكنها أربعون الف نسمة ولكنها لم تستطع القيام في وجه نيران الوهابيين الذين دكوها في حروبهم منذ سنوات مع الأدريسي . وصبية الحديثة أصغر حجماً من سالفتها وأحدث بناء وآنس منظراً . ونالت مدينة (أبو عريش) نصيبها من التدمير والتخريب بفعل الحروب والغارات فطويت صفحة مجيدة من شهرتها في التاريخ كمركز حكومة الزيدية اليمانية . وهكذا أضاعت المدينتان صبية وأبو عريش ما كان لهما من مركز ديني ودنيوي ، فأصبحتا أثراً بعد عين ، واتخذت الحكومة الوهابية جيزان ميناءها البحري مركزاً لادارة عسير تهامة .

يظن ان الاتصال التاريخي القديم بدأ منذ عرف الانسان أن يركب البحر، وكانت فلكه صغيرة ضعيفة ، طاف بها حول الشاطيء يصيد السمك ، وربما طوحت بها الأنواء في وسط اللجج ، واستوت بعد هدوء العاصفة على ساحل غريب عنه وبذا كشف الافريقيون ساحل اليمن السعيدة اتفاقاً . ثم اختط الانسان جاريات أقوم على اضطراب البحر فاوصلته شبه الجزيرة سالماً ، وعلى هذا النحو تتابعت غارات الافريقيين على بلاد العرب منذ بدء السفر البحري حتى آخر القرن السادس الميلادي ، حين هب العرب من سباتهم على نداء الاسلام فارتد التيار الصاخب منعكساً من بلاد العرب نحو أفريقيا فافتتح بمهاجرة المسلمين

الأولين الذين أوذوا في دينهم فوجدوا متسعاً في بلاد الحبشة ، واختتم بجلاء مسيحيي العرب عن شبه الجزيرة الى الحبشة وما جاورها .

وسوف لا اسهب في التحدث عن طغيان الهجرة الافريقية الى بلاد العرب منذ اقدم ازمانها حتى اخر القرن السادس الميلادي . بل سأجتزي من ذلك بقصتين تاريختين هما اشهر ما سطر عن ذلك العهد ؛ واولاهما زيارة ملكة سبأ الملك سليمان قبل ثلاثة الاف سنة تقريباً ، وقد كان لها اثر خيالي في الغالب على مصير الحبشة ، ذلك الفصل التاريخي القديم الذي يلوح لنا انه اختتم للابد . واخراهما محاولة الحبشة ان تفرض سلطانها على العرب عنوة ، وقد خلدها التاريخ القديم باسم عام الفيل . اما زيارة ملكة سبأ فهي اسطورة من اساطير الاولين ولكنها ذات اساس تاريخي ، ولا يحدثنا ما نقب عنه من اثار امبراطورية سبأ عن تلك الملكة التي خلفت للعالم تراثاً غنياً من الخيال ، كما تسدل الاقاصيص العربية نقابا كثيفاً عن الآصار الشخصية بين سليمان و بلقيس ، ويزعم الاحباش ان ابنهما اسس سلسلة من امبراطرتهم يقيم اخرهم ببلاد الانكليز منفياً . ومهما يكن من امرهما بفلسطين فان بلقيس لما عادت الى ملكها اقترنت بقريب لها ونشأت منهما سلسلة من الملوك انقرضت قبل قرون متطاولة ، ولا نجد ما يحدثنا عنهم سوى بقايا حصونهم وقصورهم ومدنهم المتداعية ، وقد شاهدت بعضها اثناء رحلتي في العام الماضي ، وجئت ايضاً وادي سبأ حيث تقوم تلة صغيرة عليها بعض القصور الحديثة و بعض الآثار الخربة القديمة التي تحفظ ذكرى تلك العاصمة العظيمة مأرب .

كان الجزء الجنوبي الغربي من بلاد العرب مستعمرة حبشية يحكمها نائب عن الامبراطور يدعى ابرهة ؛ وقد انتهى الينا عنه ان مدة حكمه طالت فيها ، وانه

كان القائد الاعلى لجيش الاحتلال سنة ٥٢٥ م ، وانه بنى في صنعاء كاتيدرائية هي الجامع الكبير اليوم ، وانه قاد الحملة الموجهة الى مكة صميم الوثنية العربية ، بعد خمس وار بعين سنة ، ليثأر لشرف أمته من اهلها . ورافق هذه الحملة فيلة شقت للجيش سبيله لمكة . وقد قدر لهذا المهيع ان يصبح الشعب الوحيد بين الشواهق للسيارات المختلفة بين صنعاء ومكة . ولم تكن للحملة طاقة بموالاة سيرها نحو مكة فتفرقت ايدي سبا وتمزقت كل ممزق ويعزو العرب ذلك الى مكر الله بالاحباش الذي اتخذ شكلا من الغارة الجوية على الحملة ، وربما كان هذا هو اقدم ما هو مسطر في التاريخ عن استخدام الطائرات في سبيل الدفاع . وقد اوله علماء النقد التاريخي في القرن التاسع عشر بان رمي الطير الابابيل كتائب الحبشة بحجارة من سجيل كناية عن ذيعان وبأ الجدري بين جموعهم وترديهم به . اما اليوم فهل يتعذر علينا ان نؤمن بان فناً من فنون القذائف الجوية كان السبب الحقيقي في ذعر الفيلة واجفالها ثم نكوصها على اعقابها تخبط في الحملة خبط عشواء مما قطع نظامها . وتعتبر سنة ٥٧٠ م من ابرز سني التاريخ الانقلابية في العالم . ففيها ولد منقذ العرب الاكبر محمد (صلعم) ، وفيها حطمت بلاد العرب عن عنقها نير الحكم الاجنبي وتدخله تحطيما دام حتى عهدنا هذا ، وها نحن اولاء نشهد زحفها كرة اخرى لمناجزة الاستعمار الغربي وقمع طغيانه.

ولئن كتب الله لشبه جزيرة العرب ان تتحرر قبلا من الجشع الافريقي ، وان تدرأ عنها الاستكلاب الاوروبي اليوم ، فان الطبيعة ما زالت تؤكد اواخي الارتباط بين افريقيا وشبه الجزيرة ولا سيما القسم الغربي منها ، ذلك القسم الذي كان متصلا بها قبل ان يفرق البحر بينهما مما تشهد به الحشرات ولا سيما الجراد والطيور والقرود والحيوانات المتشاكلة في كليهما ، ويشهد به مناخ غربي شبه الجزيرة

الذي يجعل هذا القطر افريقياً في طبيعته اكثر منه اسيوياً .

مر المستر انكرام ، الذي كان يسيح حديثاً في جنوب غربي جزيرة العرب، بوادي مسيلة وهو تتمة وادي حضرموت الكبير فقال انه النهر الفرد الدائم الجريان في بلاد العرب ، ولكني قد وقفت لاكتشاف نحو ستة انهار مثله تنبع من المرتفعات وتشق مجاريها خلالها مسافة خمسين ميلا وتذكرنا هذه الوديان بشبيهاتها في الحبشة : جبال عالية مهدت من الشعف حتى الحضض حقولا ومصاطب بمعول الانسان لتغرس فيها اشجار البن الدخيلة ، ولتنمو فيها الاحراج الاستوائية ، ولتستوطنها حيوانات وطيور افريقيا المهاجرة.

قد اعتدنا من قبل ان نصف الزاوية الجنوبية الغربية من بلاد العرب كقطعة من افريقيا لشبهها بها فيما تقدم ذكره ، ولكن اثر رحلتي في بلاد العرب استطيع ان امد حد هذا الشبه بافريقيا درجات شمالا وان اجعل حده الشرقي ممتدا على طول خط الانحدار العظيم.

ادارة المعارف حسين غنيم

كيف يبنى المنهج
دراسة الكاكاو كمثل على ذلك

إذا أردنا أن نتأكد مما إذا كان مسعى إحدى المدارس عملياً مقبولا مفيداً للمصلحة العامة وساداً حاجات الاطفال في صفوفهم المختلفة ، فعلينا أن نتعرف على الاطفال ومطالب المجموع ، وكل حالة من هذه الحالات تختلف عن الاخرى لانه لا تختلف حاجات الاطفال ومصالحهم عن بعضها البعض فحسب ، بل لا يمكن

أن توجد فيهم ناحيتان متشابهتان تماماً . وعلى كل فانه توجد مبادىء تربيوية يجب أن يعمل بها في كل غرفة دراسة .

وجدير بالمعلم أن يقف على مصالح الجماعة وحاجاتهم وصفاتهم البارزة ، وزيادة على هذه المعرفة أن يقف على تنوع هذه الحاجات والمصالح والمقدرة حتى ينال الطفل قسماً من العناية .

وإحدى هذه الحاجات الاجتماعية الهامة لمعظم الاطفال نشر حب الغير والتسامح بينهم ، فان الكثيرين منهم لا يعرفون سوى القليل عن الناس البعيدين عن محيطهم الاجتماعي ، فيجب أن يظلوا يعملون في كل ما يعود على جماعتهم بطائل ويجب أن يتعلموا تقدير ما يعمله لهم الغير . وعلى المعلم أن يسعى لجعل هؤلاء الاطفال مسرورين دائماً .

ولان يكون المنهج قابلا للزيادة أفضل من أن يكون مجموعة حقائق مقررة لتفرض على الطلاب فرضاً . وبما أن المرء يقنع دائماً بالامثلة أكثر من اقتناعه بالنصح والارشاد ، سيقوم بمحاولة اظهار كيف تنتج سلسلة من الابحاث المهمة من تحضير كأس من الكاكاو .

قبل أن تفتح المدرسة ابوابها في فصل الخريف أخبرت المعلمة أن الصف الرابع (من ذكور وإناث) سوف يتعلمون فن الطبخ في ذلك العام فشعرت أنه يمكن أن يستفاد من رغبة الاطفال بحيث يحصل منها على مسائل حيوية تنمي قوة الانشاء وتحتاج إلى معرفة ومهارة وقابلية وتقدير فيهم .

درس الكاكاو

اولا : ابتداء الدرس

كان طلاب الصف الرابع متحمسين للدرس الاول في الطبخ ، فانهم

حضروا كا كاو وأرادوا أن يتكلموا عنه . وعند ما سألتهم معلمتهم عن الشخص الذي دلهم على كيفية تحضير الكا كاو أجابوا بسرعة قائلين : « المعلمة التي تعلمنا الطبخ » وبعد ان سألتهم المعلمة اسئلة اخرى ، وقفت احدى الفتيات الصغيرات وقالت : « اظن انه لا يمكننا تجهيز كاس من الكا كاو لو لم يوجد من يزرع الكا كاو ، هذا اذا كان الكا كاو يزرع زراعة ، واذا كان يزرع فكيف ينمو ؟ أيطلع على شجرة ام على شجيرة ام هو يصنع في المصانع ؟ » ولما لم يجب احد من الصف على هذا السؤال تقرر ان يبحث كل طالب في الجواب على حدة . وفي اليوم التالي اخبرت بنت يملك والدها مصنعاً للحلوى والكا كاو، الصف انه (والدها) يسر كثيراً اذا زار الطلاب مصنعه حيث يرون كيفية صنع الكا كاو . فتحمس الصف وصار الطلاب متشوقين الى الذهاب حالا.

ثانياً — عمل التجهيزات للزيارة

لما كانت الآلات في المصانع كثيرة الجلبة والضوضاء معقدة التركيب مبلبلة لاذهان الاولاد كان واجباً على المعلمة ان تضع خطتها باعتناء حتى تكون الزيارة علمية مفيدة للاطفال ، فان نوع الارشاد له اهمية عظمى لان الطفل الصغير يجب ان يعطى وقتاً لمشاهدة الاشياء ولالقاء اسئلة ومحاكاة ما يراه ويسمعه ، ومن اجل ذلك خصص يوم بكامله لزيارة المصنع .

١ — ولتتم الفائدة من الزيارة اعطي كل طفل كراسة تبحث عن :

(ا) بعض الطرق الرئيسية في عمل الكا كاو.

(ب) وتحتوي على صور بعض الآلات التي تستعمل في تحضير الكا كاو.

٢ — برنامج الزيارة .

(ا) البحث في طرق نقل الطلاب الى المصنع.

(ب) تعيين عدد المركبات اللازمة لنقلهم.

(ج) اطلاع الطلاب على اهمية اللطف وضبط النفس في اثناء الزيارة.

(١) ما هي بعض الاشياء التي يمكننا ان نعملها حتى نظهر لطفنا الى سواقنا والى بعضنا البعض والى دليلنا والى الغير ؟

(٢) لماذا يكون من الخطر ان نشتت انتباه احد السواقين ؟

(٣) لماذا يجب ان يكون في المركبات اضواء حمراء ، وما فائدة وجود رجال البوليس في بعض الطرق المتقاطعة ؟

(٤) لماذا يكون من الخطر ان نقترب من منطقة جلد تكون على آلة ؟

ثالثاً — زيارة المصنع.

١— الذهاب الى الدوائر الرئيسية في بناية المصنع (كان دليل الطلاب رجل يحب الاطفال ويمكنه ان يتكلم معهم بلغتهم ، وقبل الدخول الى هذه الدوائر اخبرهم بايجاز عن بعض العمليات التي سوف يرونها. وعندما دخلوا الى كل دائرة على حدتها ، عينت لهم هذه العمليات واعطوا وقتاً كافياً لامعان النظر فيما يرونه وللسؤال عما يريدون . وبعد الغداء قابل الدليل الاطفال في احدى قاعات الادارة الواسعة حيث كانوا لحسن حظهم بعيدين عن ضوضاء الآلات فتمكنوا من طرح الاسئلة والاستماع الى اجوبة الدليل .

٢— معرفة الفرق بين الكاكاو والشكولاته.

٣— معرفة الفرق بين الشكولاته الحلوة والمرة.

٤— معرفة السبب في كون كل ما في المصنع يجب ان يكون مستوفياً الشروط الصحية.

٥— تناول طعام الغذاء في مطعم المصنع.

رابعاً — البحث في الزيارة مع الدليل اولا ومن ثم مع المعلم ، وطرح اسئلة تختص بمشاهدات ورغبات اثيرت كما يلي :

١— من اين جيء بحبوب الكاكاو الى المصنع.

٢— لماذا لا يزرع المزارعون الكاكاو للمصنع بالقرب من ملسوكن[1].

٣— ماذا تشبه شجرة الكاكاو في شكلها ؟

٤— هل تظهر حبوب الكاكاو على اغصان الاشجار ام هي بذور لفاكهة كالخوخ والبرقوق ؟

٥— هل يعتاش الناس الذين يزرعون الكاكاو على نتاجه فحسب أم يحتاجون الى القيام باعمال اخرى ؟

٦— كيف اكتشف انه في استطاعة المعامل عمل الكاكاو من حبوبه؟

٧— لماذا يكثر الناس من التكلم عن حبوب الكاكاو ؟

٨— هل يميل رجال المصنع الى اعمالهم ؟ وهل يملون ممارسة العمل نفسه طيلة النهار ؟ وكم ساعة يعملون في كل يوم ؟

٩— ما هي الاشياء التي عملت لتزيد رفاهية العملة وسرورهم ؟

خامساً — طريقة الاجابة على الاسئلة التي طرحها الطلاب.

١— وضع قائمة بالاسئلة .

٢— معالجة الاسئلة التي يلتذ بتوضيحها الصف بكامله وتعيين اسئلة اخرى للجان او اقسام خاصة .

---

(١) مدينة على بحيرة مشجن في الولايات المتحدة.

٣— الجمع بين وسائل الايضاح والقراءة عند الاجابة على الاسئلة.

٤— المناقشة في الاسئلة من قبل الجميع.

٥— الحصول على التعليمات الضرورية من مدير المصنع كأن يسأل عما اذا كان المصنع يبيع ما ينتجه الى سكان ملوكي، ولماذا يشتري المصنع من فنزويلا اكبر كمية من حبوب الكاكاو في حين اننا نجد ان نمو الكاكاو في البرازيل اكثر منه في فنزويلا وانه توجد كميات كبيرة منه في اكوادور (جمهورية خط الاستواء) .

٦— استعمال الخريطة او الكرة الارضية لتعيين الاماكن المذكورة.

٧— تتبع طرق النقل على الخريطة او الكرة الارضية.

(ا) الاطلاع على خريطة المصنع التي تشير الى الاماكن التي يوزع عليها ما ينتجه المصنع .

(ب) تتبع طريق نقل حبوب الكاكاو من مكان نموها الى المصنع وتقدير المسافة المقطوعة.

سادساً — الاعمال التي تلت الزيارة.

١— ارسال كتب تقدير الى الاشخاص الآتية اسماؤهم :

(ا) الى صاحب المصنع لدعوته الطلاب لزيارة المصنع وتقديمه الحلوى وطعام الغداء لهم.

(ب) الى مدير ادارة المصنع لوضعه ترتيبات زيارتهم وارساله كراسة المصنع الى كل واحد منهم .

(ج) الى الدليل لانه اخذهم الى انحاء المصنع المختلفة ووضح لهم الطرق

المتعددة التي رأوها واجاب على جميع الاسئلة التي سألوه اياها.

(د) الى مدير مطعم المصنع لتحضيره طعام الغداء لهم.

٢— نشر مقالات في مجلة المدرسة عما يأتي :

(ا) مقالة موجزة عن الزيارة.

(ب) قصة طبيعية تحت عنوان (نوادر عن حبوب الـكا كاو)

٣— ارسال بطاقات دعوة الى اولياء امور الطلاب لحضور اجتماع المدرسة العلمي .

٤— حل مسائل علمية تختص بمصنع الحلوى مثل :

(ا) اراد طالب ان يعرف عدد حبوب الـكا كاو التي تستعمل في صنع قطعة من الشكولاته التي تباع بسعر خمسة سنتات (السنت يساوي ملين تقريباً). فاخبره الدليل انه يحتاج الى خمس حبوب من الـكاكاو تقريباً . فكم حبة نحتاج ، بحسب ما قال الدليل ، حتى نعمل لكل طفل في الصف قطعة من الشكولاته ؟

زن خمس حبوب من الكا كاو . هل الاوقية من هذه الحبوب اكثر من خمس حبوب ام اقل ؟

(ب) زن قطعة من شكولاتة الحليب .(كم اوقية تزن ؟ كم اوقية تساوي رطلا ؟) لماذا نجد ان قطعة الشكولاته اثقل من خمس حبوب من الـكا كاو ؟

(ج) كم رطلا من الحلوى ينتج المصنع في اليوم حسب ما قال الدليل ؟ كم يكون مجموع ما ينتجه في الاسبوع؟

٥— اعطاء الطلاب مسائل تختص ببعض الذين يزرعون الـكاكاو وحلها ، مثل :

(ا) لماذا تبنى بعض البيوت في « جمهورية خط الاستواء » اكوادور

وفنزويلا على قوائم خشبية ؟ كيف يخرج الاطفال من البيوت ليذهبوا للمدرسة ؟

(ب) هل جميع السكان في هذه المناطق يعيشون على زراعة السكاكاو ؟ ان لم يكن كذلك فما هي الاعمال الاخرى التي يتعاطونها ؟

٦— عمل برنامج لاجتماع المدرسة العلمي. تحضير البرنامج .

(ا) انتقاء مواضيع الخطب ومقدار كل منها .

(ب) رسم خرائط ورسوم لتوضيح الخطب.

(ج) اقامة معرض بسيط يظهر السكاكاو في صوره المختلفة .

١— غلاف حبة السكاكاو .

٢— حبوب كاكاو من افريقيا وفنزويلا .

٣— نماذج من الكاكاو في مراتب تحضيره المختلفة.

٧— برنامج الحفلة.

(رئيس من الطلاب يترأس ويقدم الخطباء)

(ا) سبب زيارة الصف الرابع لمصنع الحلوى.

(ب) كيف يجهز السكاكاو الموجود في هذه العلبة من بذور السكاكاو .

(ج) سبب كون شرب الكاكاو يفيد الاطفال اكثر من تناول الشكولاته.

(د) كيف يصنع داخل قطع شكولاته الحليب وكيف يطلى .

(ه) كيف يطبع الاسم على قطعة الشكولاته .

(و) كيف يصنع الطفي Taffy (نوع من الشكولاته) في المصانع.

(ز) كيف تصنع الكارملا Carmel (نوع من الشكولاته) وتلف في المصانع.

(ح) كيف يدخل دهن الفول السوداني (الفستق) الى الحلوى الصلبة .

(ط) كيف يصبغ البيض في عيد الفصح.

(ي) كيف يستحصل المصنع على حبوب الكاكاو .

(ك) كيف تجمع حبوب الكاكاو (يوضح هذا برسم ملون لاكمام حبوب نامية على غصن شجرة كاكاو).

(ل) كيف تجهز الشعوب الكاكاو لبيعه في الاسواق.

ويرجو الكاتب ان لا يكتفى باعطاء هذا المقال كمثال وحيد لما يمكن عمله بل ان يعمل على نسقه نماذج يمكن تطبيقها في كل صف . ولا شك في انه توجد لتوضيح هذا العمل طرق تختلف باختلاف جماعات الاطفال .

الكلية العربية سامي ابو شعبان

جبون[1] المؤرخ

لعل ما نعلمه عن حياة ادورد جبون اكثر مما نعلمه عن حياة بقية كتاب الانجليز، وذلك لانه ترك لنا فذلكة عن حياته لم يذكر فيها الحوادث التي حدثت له بل تعداها الى ذكر تأثير هذه الحوادث عليه وتطور عقله واحساساته والأثر الذي تركه اصدقاؤه والكتب التي قرأها في مخيلته . وترجمة الحياة هذه تعد من اجمل القطع التاريخية حتى انك اذا قرأتها وانت خالي الذهن عن عظمة مؤلفها وصفاته التي تجعلك تقدره وتحبه كل التقدير والمحبة شعرت ايضاً باخلاصه للقراء ووده للاصدقاء .

ولد جبون في بتني (Putney) في اليوم السابع والعشرين من سنة ١٧٣٧ من أب قروي محترم و بما انه كان طفلا نحيفاً لم يخضع لنظام قاس في طفولته، وكما يقال « الرأفة تخلق عذراً لتسامح المعلم او كسل التلميذ » وقد بقي مدة يدرس في مدرسة

(1) Edward Gibbon

في وستمنستر التي استهاعمته، وهي قد كرست نفسها لخدمته. وعندما بلغ الخامسة عشرة برح وستمنستر لسوء صحته، وبعد ان قويت بنيته أرسل الى كلية مجدولين في اكسفورد وقد قال عن نفسه « ذهبت ومعلوماتي المدرسية تدهش دكتوراً وجهلي للمجتمع يخجل منه ابن المدرسة الابتدائية » . لم يكن لاكسفورد فضل يذكر عليه وذلك لاهمال المدرسين امر الطلاب وبدلا من ان يصبح عالماً مبتدعا ذهب وقته في الكلية سدى بقراءة جعلته ينضم الى كنيسة روما قبل ان تنضج عقليته لفهم الامور فهماً حقيقياً، ومن جراء ذلك طرد من الجامعة . ولما علم ابوه بذلك ارسله الى عالم روحاني بروتستنتي سويسري يعيش في لوزان اسمه المسيو Pavilliard وكان هذا معلماً مخلصاً وعلى يديه بدأ جبون يحصل العلم سريعاً وبدأ يفكر لنفسه بنفسه، وبدون ان يؤثر عليه احد ارتد الى البروتستانية ولكنه فقد تدريجاً كل معتقد بالدين . ولعل النقطة السوداء الوحيدة التي تسود تاريخه الناصع والخالي من كل تحيز هو تحامله على المسيحية ذلك التحامل الذي قاده كما يقول الشاعر العبقري بيرون المعجب به « يقوض مبدءاً قويماً بتهكم لاذع مرير » . واحب في لوزان فتاة اسمها Mlle Curchod وكانت متعلمة لامتحذلقة جذابة في حديثها سامية التفكير حميدة الاخلاق » ولكن والده رفض الموافقة على الزواج فما كان من المؤرخ الا ان يرضخ ولو كارهاً . واما الفتاة فتزوجت من المسيو نكر (M. Nicker) العظيم وزير المالية الافرنسي.

حن جبون الى بلاده فرجع في سنة ١٧٥٨ وخدم كمتطوع في فرقة Hampshire لسنتين فحصل على معلومات حربية ونقاط عسكرية ساعدته على كتابة تاريخه، وبعد ان ترك خدمة الجيش ركب البحر مرة ثانية قاصداً رومة

في زيارته الخالدة وقد قال عنها المؤرخ « ان اول ما طرأ على خاطري ان اكتب عن اضمحلال وسقوط رومة هو عندما كنت اسلي النفس بالتجوال بين خرائب الكبتول والرهبان الحفاة الاقدام يرددون صلاة المساء في هيكل جوبتر في الخامس عشر من اكتوبر سنة ١٧٦٤ » ومما يقول فيما كتبه عن ذكريات حياته وتاريخه « قضيت عشرين سنة سعيدة وانا اكتب هذا التاريخ » وكان يتنقل بين لوزان ولندن وقد قال ايضاً « وفي نهار السابع والعشرين من حزيران او بالاحرى من ليلة بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة كتبت السطور الاخيرة من آخر صفحة في بيتي الصيفي في لوزان . وبعد ان تركت القلم جانباً سرت في ممشى الحديقة المغطى بشجر الفتنة ممتعاً نظري بمناظر الطبيعة الخلابة من جبال ثلجية وبحيرات زرقاء وكان الهواء عليلا معتدل الحرارة والجو صافياً والقمر الغض معكوساً فوق المياه والطبيعة ساكنة لا يعكر صفوها شيء . لا اخفي على القارئ ما قد تولاني من سرور لاسترجاع حريتي المفقودة ولوضع الحجر الاساسي لشهرتي ولكن سرعان ما تبددت اوهامي وذهبت عني كبريائي وتولاني شعور اليأس حين علمت انني قد ودعت رفيقي القديم القلم وداعا ليس بعده من تلاق وحين علمت ان حياة المؤرخ قصيرة الأمد مقلقة مهما طالت حياة كتابي

عاش جبون في لوزان حتى سنة ١٧٩٣ ولما سمع بمرض صديقه اللورد شافيلد الذي ، بالرغم من مرضه عاش حتى بعد موت المؤرخ . ونشر له كتاباته المتنوعة ، كر راجعاً الى لندن وتوفي في لندن في السادس عشر من كانون الثاني سنة ١٧٩٤

كتابه «تقهقر الامبراطورية الرومانية وسقوطها»

لقد كان تقهقر الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، وفي عبارة اخرى ذهاب

المدنية الاوربية القديمة ونشوء المدنية الحديثة، اعظم حادث في تاريخ البشرية.
والكتاب الذي يتناول هذا البحث هو اعظم ما انتج من نوعه من الادب التاريخي فلو قارنا بين جبون و بين بقية المؤرخين حديثاً وقديماً لما وجدنا من يضارعه بصفاته كمؤرخ في قوة تعبيره الوصفي وحبه للحقيقة و بعده عن التحيز الا احد المؤرخين القدماء وهو Thucydides . نعم ان علم التاريخ تقدم تقدماً محسوساً منذ زمن جبون اخص بالذكر ما يتعلق بالتحري عن اسباب الحوادث ولهذا يظهر تحليله غير لائق . ولكن ليس من مؤرخ، سواء تقدم جبون او تأخر عنه كتب ادباً وتاريخاً خيراً مما انتجه هو، فقد جمع بمهارة و بجد من مواد ناقصة مبعثرة قصة اوروبا من اواخر القرن الثاني للميلاد الى سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣ . فاذا اردت ان تقدر تاريخه حق التقدير فما عليك الا ان تقرأه و بذلك يتسنى لك ان تفهم عظمة الامبراطورية الرومانية ومكانة مؤرخها[١]

عكا — المدرسة الثانوية　　　　　　انور حديد

نشوء النظام وارتقاؤه[٢]

ليس هنالك ناحية من نواحي التهذيب تناولها تغيير أساسي هام في الجيلين الاخيرين اكثر من النظام المدرسي . فانه في الايام التي كان فيها آباؤنا اولاداً كانت مقدرة المعلم على ادارة الشؤون التأديبية تعتبر من اعظم مؤهلاته وأهم عوامل نجاحه . ولقد كان المعلم الفاضل من يؤتى متانة في حفظ النظام في احسن

---

(١) نقل عن مقدمة كتاب
The Decline And Fall of the Roman Empire

(٢) نقل عن الانكليزية بتصرف

تقويم . ونحن لا نزال في حاجة الى ذادة اكفياء عن النظام . ذلك لان السيطرة التي يشوبها النقص في الصف هي من اشد الاسباب اثراً في اخناق المرء في التعليم غير انه على كر الاعوام ومر السنين تغير معنى الكلمة « نظام » لتلك السيطرة الغاشمة التي لا هوادة فيها ولا اعتدال ولم يعد كبير محل في المدرسة العصرية التي تحترم نفسها ، فأمست وقد هوت من قمة عظمتها التي صحبتها حتى الخمسين سنة الاخيرة .

ليس بخاف ان النظام المدرسي القديم لم يكن ليرمي الى اكثر من حفظ « الترتيب » الا الشيء القليل . فلقد كانت السيطرة مستبدة كل المستبدة وكان الخوف اداة تنفيذ لها . فلم ترم الى غايات تهذيبية ، اللهم الا الى حمل التلامذة على القيام بدراسات افضل من ذي قبل في محيط هادئ منظم . وهذا اسهل انواع « النظام » واقلها مؤونة لدى التطبيق . وليس في هذا النوع من حاجة الى التحليل والدهاء البتة . لانه لا يتطلب بعد نظر في عملية التعليم اكثر مما يتطلبه اولو الامر من قائد عشرة اخذ على نفسه امر التدريب العسكري في احد الجيوش . فكل ما يحتاج اليه لتطبيق النظام تطبيقاً موفقاً المقدرة على القاء الرهبة في نفوس الاولاد وفرض العقوبات عليهم

إن نظريات « النظام » الحديثة لا تعلق كبير اهمية على تلك الناحية من الضبط المدرسي الذي لا يعنى إلا بالمحافظة على الترتيب . ولذا كان من مرمى المعلم الراقي أن يدير النظام على طريقة تجعله غاية لذاتها . فان القصد من ذلك إرشاد الولد بواسطة الحرية التي يعطاها شيئاً فشيئاً إلى احراز ضبط النفس وتأديبها الكامل . إن حجرة الدراسة التي تعتبر مثلا أعلى (وقد لا يكون في المقدور تحققها تحققاً كاملا) هي التي يرشد فيها الطلاب ، وهم في حل من كل ضغط

خارجي ، إلى العمل من مطلق ارادتهم على إحراز أعلى ما يمكنهم من تطور ذاتي.

يتتبع نلصون ا. بوصين في ما كتبه تحت عنوان « التعليم في المدارس الثانوية » نشوء الآراء في « النظام » في القرون الخوالي . فيذكر ان النظام في أبسط صوره الاولى كان يرمي الى الانتقام والتشفي . وأنه من الجلي لدى كل امرىء عند شيء من التفكير أن هذا الاساس للقصاص متغلغل في الطبيعة البشرية. وقد فهمت الاقوام الاولى أن آلهتهم مستبدون وكثير و الاهواء ينتقمون من كل من يهيج سخطهم ولا يجد نعمة في أعينهم . وليس من شـــك في أن نظاماً هذه صفاته لا مكان له في الهيئة الاجتماعية المتمدنة ، ولم يكن ليوجد في المدرسة لو لم تعتبر طائفة كبرى من المعلمين ما يجري من سلوك سيء إهانات موجهة اليهم ، ويبيحوا لانفسهم المعاقبة من جراء ما ينجم من ازعاج مثير للعواطف تشفياً وانتقاماً . وفي أي وقت تسمع معلماً يقول:— « انظرني ريثما أمسك ذلك الشقي الصغير في زلة مرة أخرى » يمكنك أن تفترض أن شهوة الانتقام تتملكه بدلا من الاهتمام الصادق بتحسن « ذلك الشقي الصغير » في اموره التهذيبية .

والخطوة التي تتلو نظرية النظام المؤسسة على الانتقام هي نظرية النظام المبنية على التعويض والمجازاة أي « عين بعين وسن بسن » إن مبدأ التعويض او المجازاة متغلغل في الانظمة التشريعية . لأن المذنب لا مفر له من تعويض على قدر الامكان بسبب الخطأ الذي ارتكبه. وهنالك ميل الى جعل العقاب ملائماً للذنب . وفي حين انه يجب أن لا يكون التعويض او المجازاة مبدأ يسترشد به في حجرة الدراسة ، يجب أن لا يغرب عن البال انه معمول به في الطبيعة على اختلاف اقسامها . لان الطبيعة تفرض عقوبات على الذين يخرجون على القانون . ولذا كان من تهذيب

الولد أن يتعلم أنه لا يقدر أن ينجو بسهولة من عواقب سلوكه .

وثمت اعتراض واحد على الفكرة المشروعة المطبقة بتحفظ واحتراس وهو انها يمكن أن تمسي عبئها ثقيلا جداً . فقد انبأ احدهم عن معلم الماني قديم علم خمسين سنة ودون القصاصات التي اجراها على تلامذته طيلة هذه المدة. وقد لاءم بين كل ذنب وما استحق من قصاص من « لطمات على الرأس »و« ضربات بالخيزرانة» فكان في دفتره(الاستاذ)ما ربو على المليونين من القيود وكان معدل ما قام به من عقوبات عقوبة في كل دقيقة . وغير خفي أنه يتعذر ان يكون قد بقي له ، من جراء هذه القصاصات وتدوينها وقت للقيام بواجباته الاخرى التي هي اجدر باهتمامه . وفي بعض الاحيان يخترع حديثو العهد بفن التعليم من ذوي الغيرة قوانين للعقوبات لمكافحة ضروب ما ساء من سلوك الطلاب ولكنهم لا يلبثون ان يكتشفوا جهل تنشئة خطة كهذه والتوسع في إحكامها .

أما اقدم نظرية في النظام يمكننا ان نعلق عليها اهمية اجتماعية فهي نظرية الصد أو المنع . وعلى موجب هذه النظرية يجري القصاص ومن ورائه غاية مزدوجة : حمل المذنب بواسطة اعمال الخوف على الاقلاع عن الذنب ، وتقديمه من نفسه مثالا يردع الآخرين عن اقتفاء آثاره . وقد ظهرت هذه الفكرة في اجلى بيان في مراكز الجلد العامة وأماكن الاعدام العامة و « نار وكبريت » رجال اللاهوت . ولهذه النظرية دعائم قوية في الاحكام الجزائية الجارية فان القتلة يعلقون على الاعواد ، ليس لأن الجمهور يطلب الانتقام ، وليس لأن الشنق يعوض بوجه من الوجوه عن الحياة التي فقدت ، بل لكي يمنع هذا القصاص الصارم الآخرين من قتل سواهم .

ان فكرة المنع في النظام مؤسسة على الخوف، و بعض ذوي الخبرة والاختصاص يقولون انه لا مكان للخوف في التهذيب . ومن المؤكد ايضاً اننا لا نبغي بالتهذيب ان نخرج قوماً جبناء مترددين تساورهم الاف الشكوك والريب . ولكننا لا نتمنى ايضاً لطلابنا ان ينموا وليس فيهم التقدير للاخطار الحقيقية . فيجب ان يتعلموا مثلا تقدير الخطر الذي يمكن ان تأتيه السيارة المسرعة وما يتهدد الصحة اذا كان مستوى العيش غير صحي . ان الولد الذي ليس لمختلف انواع الخوف تأثير فيه يعدو في حياته سن الطفولة على الارجح . و بينا نرى ان النظام كمانع ليس هو بالنوع الافضل ، نجد مع ذلك انه ليس في المقدور تناسيه او اهماله .

وهنالك نظرية اخرى في النظام ادعى الى الخير وهي التي تعلق اهمية عظمى على النواحي الاصلاحية (الشفائية) في السيطرة . ان نظرية النظام « المانعة » التي هي افضل ما مر بنا من نظريات، هي سلبية في مظاهرها ومظان الامل فيها ، فقد يوقف الخوف نزوات الفرد غير المستحبة ، ولكنه لا يكون له الا النزر اليسير من التأثير في افراغه في قالب شخص يميل كثيراً الى الانس والاجتماع . ذلك لانه حالما يزول الرادع يعود الى سيرته الاولى الطبيعية . ان النظام الشفائي يقصد منه الاصلاح الاسامي في مواقف المرء وحالاته . فهو لا يكتفي بالزامه ان يسلك الطرق المثلى بل يسعى في تعليمه ان يعمل من مطلق ارادته الاعمال المثلى . وقد ظهر هذا الضرب من النظام في الانقلاب الذي جرى في ادارة مؤسسات العقوبات . فانه قبل قرنين كانت السجون ابعد الاماكن عن اللطف والانسانية وليس لها من اهداف الا العقاب والفصل اما الان فأولو الامر ينتبهون انتباهاً عظيما الى تهذيب المجرم وحمله على ان يلعب دوراً شريفاً ونافعاً في الهيئة الاجتماعية .

هذا وان المدرسة العصرية تعترف بان التهذيب الذي ترمي اليه باعمالها هو سبب وجودها الوحيد ، وهي تتحقق ان مجرد الاكراه على المشاكلة الخارجية للقوانين الاعتيادية المبتذلة لا يحمل بين جنبيه البتة قيمة تهذيبية صحيحة . لان التهذيب معناه التغيير وانما يكون النظام مهذباً عندما يقوى على تغيير اخلاق الذين يوجه اليهم . ويجري كثير من المعلمين في عصر النور هذه العقوبات على طريقة عادية (مبتذلة) ولا يدركون انهم انما يستعملون علاجات او شافيات موقتة . وهم لا يسبرون غور العلة لماساء من سلوك الطالب ولا يأتون امراً فيه تحسين للحالة تحسينا جوهريا ، بل هم يتهربون من واجباتهم كمربين .

والآن نأتي الى أرقى ما جاء من نظريات في النظام وهي نظرية الوقاية . إذا جاء مرض وافد خبيث أخذ رجال دائرة الصحة انفسهم بتوجيه جهودهم إلى قطع دابره في اسرع ما يمكن . على انهم يتأكدون من انه من اول واجباتهم عدم افساح المجال للوباء لترسيخ قدمه البتة . وعندما يقع الرجال والنساء في اجرام نبعث بهم إلى الاصلاحيات والسجون حماية للهيئة الاجتماعية ، ونسعى ان نصلحهم حباً بخيرهم الشخصي . على أن اولي الامر في الشؤون الاجرامية يظهرون اهتماماً متزايداً بطرق وقاية الناس من جرم مخالفة القانون . فان الاجرام تكلف الامم الملايين ، والمال الذي ينفق على الملاعب العامة وعلى الاعمال والحركات الخاصة بالشباب على اختلاف انواعها هو في الحقيقة اقتصاد بأكمل ما في الكلمة من معان . والوقاية هي دائماً خير من العلاج . ولذا وجب أن يكتشف رجال التعليم اسباب سوء السلوك في مدارسنا وان ينحوها جانباً . فان معظم مخالفات النظام ترجع اسبابها الى مواقف او حالات كان يجب ان لا توجد . وفي المقدور تلافي معظم

التعب قبل وقوعه ، ولذلك كان من واجب المعلم ان يخلق بيئة تضؤل فيها احتمالات سوء السلوك وتتقلص الى اصغر حد ممكن . فلينتبه المعلم الى الخطة التي هو مقررها من جهة تتميم تلك الفكرة في احسن تقويم .

القارة الاوروبية في باريس [1]

يتناول بحثنا هذا ما يمثل بعض النواحي الاقتصادية وغيرها في معرض باريس الدولي اذ نرى في هذا المعرض تمثيلا يكاد يكون شاملا للقارات بأجمعها . فهنالك ما يقرب من الثلاثين دولة من الدول الاوربية تضع امام الزائرين ما وصلت اليه من التقدم . وترى الامم الناهضة من القارات الاسيوية والافريقية والاسترالية والأمريكيتين تفعل كذلك .

ولم تكتف الدول المشتركة باظهار الناحية الاقتصادية بل جربت ان تعطى صورة واضحة عن حالتها من النواحي الفنية والاجتماعية والتهذيبية وان تظهر للملأ مقدار الحيوية فيها ومقدار الجهود التي صرفت لتطبيق فكرة معينة قصد الوصول الى هدف معلوم . لنبحث مثلا في القارة الاوربية نجد عقب الحرب العالمية الكبرى التي استمرت اربع سنوات كان مرسحها الهواء والماء والارض تغيراً هائلا في معالمها . نرى سقوط الامبراطوريتين الروسية والالمانية نرى تشكيل دول حديثة كثيرة منها تشكوسلوفاكيا وبولونيا نرى انهيار امبراطورية النمسا والمجر ونرى بعد هذه الحرب ظهور نزعات خاصة في اساليب الحكم كالنظم السوفيتية والفاشستية والنازية. فمعرض باريس الدولى يريك نتاج هذا التغيير وعدا ذلك

---

(١) باذن خاص من مصلحة الاذاعة الفلسطينيه .

فالمعرض يعطيك صوراً حقيقية عن النزعة القومية السائدة المتحكمة في كل دولة عارضة فهي تتشدد في التمسك بحسن لباسها وافضلية آدابها وجمال طعامها وهندسة بلادها وجمال مناظرها ووداعة سلوكها. فالمعرض اذاً مكان تتنافس فيه الفضائل وتتنازع فيه الدعاية. فالالماني يريدك ان تعتقد بافضلية نظامه والروسي بنجاح عقيدته والايطالي بنتاج حكمه والبولندي يريك ثروة ارضه والتشكوسلوفاكي غزارة معادنه والانكليزي افضلية بيئته الاجتماعية والاوربي فوق ذلك يريدك ان تتأكد من عظيم الخدمات التي قدمها الى الجنس البشري، كل ذلك بفضل عقله وماله ويده وبفضل ماله من القوة والسيطرة . ولقد رتب كثير من الدول العارضة ان يلحق بقسمه مطعماً قومياً وجوقاً موسيقياً قومياً وداراً للسينما تدخلها مجاناً ترى فيها حياته في بلاده وهو جاد في اعلاء شأنها . ترى فوق ذلك كله ان كل دولة من الدول العارضة تفننت في صنع خارطة لبلادها متقنة الصنع بديعة التكوين متشعبة الغاية. وكثيراً ما ترى هذه الخارطات مضاءة بالكهرباء او مرصعة بالحجارة الكريمة تريك شكل المملكة وما فيها من سهول وجبال وهضاب وبحيرات وتعرفك على طرق مواصلاتها من برية وبحرية وهوائية وتشير الى ثروتها من معدنية ونباتية وحيوانية. ويصحب هذه الخارطات الصور الفتوغرافية الجميلة والاحصائيات الدقيقة ومقدار ما يدخل هذه المملكة من وارد او يخرج منها من صادر كل ذلك ليرى الزائر بنفسه مقدار التقدم بسبب الجهود التي صرفت او بسبب نعمة الاستقلال بعد الاستغلال او بسبب تطبيق نظام موحد بدلا من هدف مشوش . ويجب ان اشير ايضاً الى الجهد العظيم الذي تصرفه كل دولة في جذب انظار الزائرين الى زيارة بلادها فتغريهم بتنزيل اسعار السفر وحسن الاستقبال وعظيم الفائدة .

والآن دعني ايها القارئ الكريم أن أطوف معك بين الدول العارضة من

القارة الاوربية لتدخل الى معرض بلجيكا ترى فيه مجموعة نادرة من الجوهرات لا تقل قيمتها عن اربعة ملايين من الجنيهات ترى الرخام الاسود البلجيكي والزجاج واشغال الابرة ترى اشغالا متقنة للموبيليا وترى نماذج للمعادن التي توجد فيها . واهم من ذلك كله ان تتعرف على تجدد هذه البلاد وما ادخل فيها من التحسينات عقب الحرب العالمية التي كانت اثناءها بلجيكا ساحة للحرب حيث نسفت مصانعها وخربت طرق المواصلات فيها وحيث شلت حركتها وهدمت مدنها ترى ذلك كله من النشاط والجهد من خلق بلجيكا مرة ثانية وبعثها حية فتية.

وهنالك دول بحر البلطيق استونيا ولتفيا ولتوانيا التي انفصلت عن الامبراطورية الروسية القيصرية ترى على رأس هذا القسم شارات هذه الممالك التي تشير الى الصداقة والوحدة والمناعة . في هذه الاقسام الثلاثة صور حية توحي اليك بفكرة واحدة هي ان الدول مهما صغرت في مساحتها وقلت في عدد نفوسها وصعبت في خصاب ارضها وقست في مناخها ان وجدت رجالا عاملين وحكاماً مخلصين وشعباً يدين بدين الاخلاص تصل الى درجة من الرقي والكمال لا تصل اليها الا تلك الامم التي تسير في هذا السبيل بعزيمة حديدية وقوة جبارة . غابات هذه البلاد واسعة وحاصلاتها الزراعية متنوعة وصناعاتها جميلة وهم لا يتركون فرصة سانحة الا واستغلوها وهم من هذه الناحية يشبهون مملكة فنلندة التي اختطت لنفسها صراطاً قويماً والتي جربت ان تستغل غابات بلادها في الصناعات ومناظر بلادها في جلب الزائرين . ويستغرب السامع جداً ان ذكرت له ان في فنلنده وحدها حوالي ٦٠،٠٠٠ بحيرة جرب الفنلنديون عمل خارطة حقيقية تمثل بلادهم وتشمل هذا العدد من البحيرات.

لنترك هذا القسم ولندخل معرض مملكة تشيكوسلوفاكيا التي انسلخت عن الامبراطورية النمساوية بعد الحرب العالمية . يسترعي انتباهك عند دخولك هذا

القسم كثرة الصور والتماثيل لأولئك الذين ساهموا في تحرير بلادهم لاعتقادهم ان هذه التماثيل والصور هي الوحي الذي يذكرهم بالتمسك ببلادهم والنهوض بها حتى لا تقع مرة ثانية تحت حكم اجنبي . وتشير هذه التماثيل أيضاً الى وجوب القدوة الحسنة التي تثبت هذا الاستقلال بالعمل المقرون بالعلم والجهد وفي هذا القسم ترى اهمية الحديد والفولاذ في نهضتهم الصناعية ترى اهمية الصناعات الزجاجية والخزفية والصينية ترى تعدد المنسوجات كل ذلك لتريك نهضتها الحاضرة اذا قيس بماضيها الجامد .

وهناك القسم الالماني الذي يرفرف على برجه البالغ ١١٧ قدماً نسر فوقه السواستكا علامة النازية او علامة الوطنية المتطرفة . في هذا القسم ترى النماذج العديدة التي تشرح امامك تقدم المانيا الحديث في اختراعاتها العلمية الدقيقة التي اهمها ال (Telivision) . تريك الصناعات المتعددة والعقاقير الطبية المتنوعة تريك ان المانيا تلك الامبراطورية التي خرجت من الحرب العالمية وهي مطأطئة الرأس كيف انها بفضل نظامها وهمة رجالها وصلابة شعبها لم تترك اليأس ليتسرب الى قلوب ابنائها، تلك الأمة التي اخذت من أرضها فرنسا وبولونيا ، تلك الامة التي جردت من مستعمراتها وقيدت بمعاهدات دولية وبرامج محدودة قد استطاعت ان تعوض عن خسارتها بفضل تطبيق اساليبها العلمية وان تجعل ٧٠ مليوناً من الناس تمشي مشية الرجل الواحد المؤمن في سبيل عزتها ومنعتها وعظمتها .

وما ينطبق على المانيا تجده على شكل اوضح في القسم الايطالي الذي يمثل ايطاليا الفاشستية فالصور الفتوغرافية العديدة والخطوط البيانية المتنوعة والنماذج العديدة كلها امامك تشير اليك بفشل النظام الدمقراطي ونجاح الحكم الفاشستي خصوصاً في الاشغال العامة وتجفيف المستنقعات ورفع البيئة الاجتماعية والاخذ بيد العامل الى الوصول الى مستوى أعلى في المأكل والملبس والمأوى اي ان المعرض

الايطالي يريك الفرق بين ايطاليا قبل النظام الفاشستي وبعده يريك مظاهر المستعمرات الايطالية ومستخرجاتها واثار الرومان فيها يريك اهمية كل مقاطعة في الصناعة والفن ويوحي اليك ان ايطاليا الان تستمد قوة من عهد القياصرة في تاريخها القديم وتستمد جمالا من نهضتها الأدبية والفنية في مستهل النهضة الاوربية وتستمد منعة وجاهاً من نظامها الحالي الجديد .

ومن يزور المعرض الايطالي يود ان يزور قسم الفاتيكان ليرى فيه نصيب الدين من الدعاية فهنالك ترى جهود البابوية التي لعبت دوراً يفوق حد الوصف في القرون الوسطى في بث اساليب الدعاية واعمال المبشرين في مختلف انحاء العالم

والزائر في هذا المعرض يسترعي انتباهه بناء ضخم وفي مدخله رمز هائل يمثل كيف انه من الممكن ان يكون للفتاة نصيب حقيقي من الاشتراك مع الرجل في خلق كيان اجتماعي له هدف معلوم . هذه البناية للامة الروسية السوفيتية التي تمشت في طرق حكمها على نمط خلاف النظام العالمي المألوف. في هذا القسم تريك روسيا اتساع ملكها في القارتين الاوربية والآسيوية وتريدك ان تعرف ان هذه البلاد الواسعة الغنية في تربتها والمتنوعة في ثروتها كيف انها كانت تئن من الفقر والظلم بسبب نظامها القيصري القديم وكيف انها الان تمهد السبل للمجموع قصد الوصول كما تعتقد الى عيش هنيء وبيئة اجتماعية موحدة وكيف انها قطعت في هذا المضمار شوطاً بعيداً.

وهكذا فكل قسم من المعرض يعطيك ناحية مبتكرة ويريد ان يستهويك نحو نظامه بشتى الوسائل . فالمعرض الانكليزي لا يريدك ان تتعرف على موارد الثروة في بلاده فهذه بنظره ناحية ضيقة بل يود منك ان تعرف ميل الانكليزي الغريب الى مختلف انواع الرياضة ويريد ان يشير اليك الى ان الهناء الحقيقي

للانسان هو الهناء العائلي ولذا اهتم بشؤون البيت وترتيب المنزل والنماذج التي وضعها الانكليزي امامك تعطيك بحق فكرة صحيحة عن البيئة الاجتماعية المنزلية الانكليزية.

والمعرض الهولندي يملي عليك قصة تاريخه وما وصلت اليه هولندة من العظمة في حقل الاكتشافات والاستعمار وما حافظت عليه من هذا التراث بسبب نشاط الشعب وميله للمغامرة والمجازفة فيريك بالدرجة الاولى ضخامة اسطوله التجاري البحري ونشاط طرق مواصلاته الجوية عدا اهتمامه بالزراعة والصناعة .

وهكذا تمر ببقية الدول العارضة كفرنسا ومقاطعاتها ومستعمراتها وكاسبانيا والبرتغال ورومانيا وهنغاريا وبلاد اليونان وغيرها من الدول فيعجبك منها حسن الاختيار وسلامة الذوق وشدة الاتقان . وتتعرف ان كل قطر اختصته الطبيعة بشيء وحبت سكانه بناحية بارزة من الجهد . تخرج بعد ذلك وانت شديد الاعجاب بما رأيت من تنوع ومنافسة بين اجزاء القارة الأوربية .

هذا هو المعرض . هو مستودع يوحى اليك . يوحي اليك بالقوة وهي مصدر قلق على السلام العالمي وفي الوقت نفسه يوحي اليك بعظمة الانسان وقوة تفكيره هذه العظمة التي سيرت الكون الى طريق الهناء والرفاهية .

والمعرض أخيراً يوحي اليـــــك بالواجب الذي يدعوك الى ان تساهم انت وامتك في سبيل رفع شأنك والتمسك بقوميتك والاعتزاز بمجهودك والتفاخر بلباسك وعاداتك القومية وان تشترك في بناء هذا الكون بعد الله سبحانه وتعالى والا جرفتك الامم القوية وبقيت في هذا العالم جسداً محنطاً لا حياة فيك ونظرت اليك الشعوب القوية نظرة المستخف والمستهزئ المتكبر .

وصفي عنبتاوي

بحث في البسيكلوجيا الاجتماعية

مسلك الجماعة

الفرد والجماعة : لم يطبع الناس على غرار واحد وقد لا تجد عقلين اثنين يتشابهان في كل شيء كما انك لاتجد وجهين متفقين تمام الاتفاق . والفرد هو الوحدة الحية التي تؤثر في الحياة ، وله شخصية بارزة ، ونفسية خاصة قررتها ميوله الاصلية وفطرته الطبيعية ، انما الفرد يفقد ما امتاز به من ارادة وتفكير ، ويخسر ما اختص به كفرد يعيش حياة استقلالية حالما يندمج في المجتمع ، ويصبح جزءاً من الجماعة ! والجماعة هي اللفيف من القوم الذين تتولد فيهم صفات تخالف صفات الافراد تستحوذ على تفكيرهم واحساسهم فتذيب الفردية فيهم وتقرر بالتالي مسالكهم . والجماعة تعمل بروح تخالف تمام المخالفة الكيفية التي يشعر ويفكر ويعمل كل واحد على انفراد وعلة ذلك انضمامهم الى بعضهم وصيرورتهم جماعة واحدة من المشاعر التي تعمل ككتلة واحدة في الاندفاع والعمل .

النظام الاجتماعي : كان للجماعات المنظمة على الدوام تأثير كبير في حياة الامم الا ان هذا التأثير اصبح كبيراً ومشهوداً في هذه العصور التي زخرت بالاتجاهات الفكرية و الانقلابات الفجائية . ففي زمن البداوة سهل على الفرد ان يسد مطالبه المحدودة حسبما تقتضيه غرائزه وميوله، فمعيشته شابهت معيشة الحيوان اذ لم يكن يرضخ لقوانين اجتماعية او يتقيد بالاداب العامة ، اما مع تقدم الحضارة تقيدت حرية الفرد ولم يعد في مقدوره ان يسلك حسب رغائبه وميوله ، بل اضطرته بيئته الجديدة ان يكبت الكثير من غرائزه ، ويكيف البعض منها ،

ويتسامى بالاخر تبعاً لحاجات المجتمع الذي يعيش فيه ووفقاً للنظام الاجتماعي الذي هيمن عليه .

روح الجماعة : يندر انفصال الافراد عن نسيج الحياة الواسع وقليلون هم الافراد الذين اعتزلوا المدن وعاشوا عيشة افرادية مستقلة . اما على العموم فالافراد يألفون الاجتماع ويرضخون لاتحاد الجماعة فتتولد فيهم عقليتان متباينتان متناقضتان عقليتهم كافراد تغذيها النزعات الفطرية والميول الاصلية ، وعقليتهم ضمن الجماعة يشتقونها من روح الجماعة التي هم افرادها . وتشبه الجماعة الامواج المتلاطمة التي نقرأ صفحتها ونترجم ظاهرها اما ما هو واقع في جوفها من الاضطرابات فمستور لانها تنقاد الى قوة خفية هي روح الجماعة التي قد تحط من مداركها وتضعف من سموها ورفعتها . والجماعات امم فاضلة او شديدة ، والانقلابات التاريخية العظيمة هي انقلابات في تصورات ومعتقدات الجماعة . والجماعات اقدر على العمل منها على التفكير لذلك ففي مقدور الجماعة هدم صروح المدنية كما فعلت القبائل المتوحشة اما الجماعة التي تشيد اركان الحضارة فهي تلك التي امتازت بسمو المدارك وبعد النظر .

ان الفرد ضمن الجماعة يعمل لاشعوريا لانه لا يتاح له الاعتماد على قواه المفكرة والاسترسال في الخيال المنتج والسير على ضوء ارادته المتزنة وتبصره العميق . والفرد ضمن الجماعة يتأثر بسرعة من روح المجتمع ويسترسل في ميوله دون الشعور بالتبعة والمسؤولية . وأغلب اعمال الجماعة تسير بالعدوى دون التروي فيصبح الفرد كالنائم نوماً مغناطيسياً يعمل اعماله دون ادراك أو وعي بل على النقيض فانه قد يجد في اتجاهاته الاجتماعية بواعث للاندفاع في الحماسة والشجاعة وفرصة سانحة لممارسة اعمال القوة والعزم التي اعتادها وعشقها في اطوار

بداوته ايام تمتع بالحرية المطلقة . وستظل الافراد في قبضة الجماعة خاضعين لها ومسحورين بها . وما اسرع ما ينسيهم ذلك الخضوع والاستسلام مسؤوليتهم الشخصية فلا يشعرون الا بقوى خارجية عنيفة تسوقهم في ذلك الطريق . وهذا سر انتشار الضلالات بين العوام لأن الفرد في استسلامه لروح الجماعة يفقد تفكيره واتزانه ، ويخضع بكليته لقوى الجماهير الساحرة .

نفسية الجماهير : كما ان الحجر يحدث تموجات في عالم الجماد هكذا الاحساسات البشرية تولد اتصالا سمعياً وحسياً بين البشر وتحدث اهتزازاً وتموجات في شعورهم فاذا غنى شخص غنى معه آخرون ، واذا صفق فرد تبعه افراد في التصفيق وفي قليل من ظواهر الحياة يكون للعقل حكم او للارادة سلطان ، فاذا تمكنت فكرة من فئة قليلة تفشت بسرعة هائلة بين افرادها ، فتنسى تلك الجماعة كل مناحي الحياة وتتمسك بتلك الفكرة التي ارخت على العقول غشاوة مضللة وعلى العقول سحراً هائلا . ففي مدن ايطاليا قديماً اتجه فكر الجمهور وراء الفنون فتناسوا كل ما لا يمت الى الفن بصلة . وفي القرون الوسطى سيطرت فكرة الدين على العقول فنسي القوم الحياة الجميلة واستسلموا بكليتهم لنزعاتهم الدينية . وفي القرون الحديثة هيمنت النزعة العلمية على الاوساط الاجتماعية فانبعث الناس على العلم وتجددت شخصيتهم وتفكيرهم عن مناحي الحياة الاخرى .والجماعة تخضع لمؤثرات متنوعة،والجماهير تتقلب في مسالكها ومشاعرها من جراء عوامل سنأتي على ذكرها:

١ ــ العدوى والتقليد : اذا اجتمع الناس لسماع محاضرة او مشاهدة قصة تمثيلية نرى نوعاً من الشعور سرى الى عقول الجماعة فانتقل بالعدوى بين الجماهير المحتشدة وهي لا تطيق المعارضة ولا تحتمل المناظرة ، وباب الشك ، غير مفتوح امام الجماعة واقل مخالفة يأتيها الخطيب في المجتمعات العمومية للرأي العام تقاومها

الجماعة بالاهانة . وهذا ما يعلل الانتقال السريع في مسلك الجماعة ، فتصرفاتها تتراوح بين افظع الاعمال وانكرها و بين اكبر ها رحمة وكرماً. والجماهير تقدم على احراق قصر أثري او تدمير تحفة فنية بنفس السهولة التي تقدم فيها على انجاز عمل مبرور كريم لأنها تميل بالعدوى الى الدنايا كما انها في مقدورها ان تتحلى باخلاق عالية. وهي اهل للاخلاص والتضحية وأهل لارتكاب كل انواع الجرائم .

٢ — التصديق السريع : والجماعة سريعة التصديق فتترا كم لديها الروايات والاقاصيص ، وتنتشر بين افرادها بسرعة وتتناولها الالسن في التشويه والمبالغة وتنتقل بالعدوى من فئة الى اخرى حتى تخرج تلك الحقائق في النهاية مشوهة . و كثير من الاقاصيص سجلت في بطون التاريخ لاعتقاد الجماعة انها حقيقة وماهي الا خيال واوهام . انما قابلية الجماعة للتصديق هي التي ساعدت على انتشار الافكار بالعدوى ، فنالت مكانة اقرب الى القدسية والجلالة في تاريخ الفكر البشري منها الى الاساطير والخرافات .

٣ — احترام التقاليد : والجماعة تحترم التقاليد حتى حدود العبادة وهي بفطرتها تكره كل جديد من شأنه تغيير احوال معيشتها الحقيقية ومثال ذلك ما رآه الصليبيون من طيف القديس جريس فوق اسوار اورشليم يوم اشتد حصار المدينة المقدسة فتخيل فرد صورة القديس تحت صفوف المجاهدين ، فظن الجمهور انهم في حظيرة القديس الذي حضر لنجدتهم وللانتصار لهم ومن يجرؤ على مخالفة تيار الاكثرية ومقاومة ما رواه الرواة ودونته الاسفار من تقاليد .

٤ — الهوس : ولطالما سحرت هوية الجماعة عن طريق التقليد فيندفع الجمع وراء تلك الهوية دون الافتكار في عواقبها او تحليل مناحيها . وهذا ماحصل في القرن السابع عشر في هولندا عندما تهوس الافراد لاقتناء انواع الزنابق

(Tulipo mania) فنشط الافراد الى جمع انواع بصلات الزنابق المتنوعة بعد دفع الأثمان الباهظة في سبيل الحصول عليها فهجروا اعمالهم وتنحوا عن مهنتهم لان هذه الهوية اصبحت شغلهم الشاغل. وشبيه بهؤلاء جماعة من الاميركيين الذين تحمسوا لمشروع شاع عنه انه يجلب الارباح الطائلة. وسرعان ما اقدمت الجماهير على المساهمة في مشروع المسيسبي (Missisipi Bubble) وكان هذا مشروعاً اقتصادياً غرضه الاتجار بحاصلات مناطق المسيسبي الغنية وكان القائم بهذا المشروع (John Law) وهو خبير اسكتلندي ذائع الشهرة في المعاملات المالية والمشاريع الاقتصادية ، فذاع صيت هذا المشروع واقبل المتحمسون عليه اقبالا عظيماً حتى اضطر حاكم المقاطعة أن يسير كوكبة من الفرسان امام عربة صاحب المشروع . ويحكى عن سيدة ثرية التجأت الى حيلة طريفة لمقابلة المستر (لو) وذلك بان صدمت مركبتها مركبته عمداً فكانت حادثة الاصطدام سبباً للمفاوضة وسبيلا للمساهمة .

٥ ــ الاندفاع وراء العاطفة : يمتاز سلوك الجماهير باندفاعهم العاطفي دون التروي او التفكير المنطقي . ففي اواخر القرن الخامس عشر راجت فكرة جديدة على عقول الغربيين تلخصت في كراهية الشيطان (Demophobia) وفي التخوف من السحر والسحرة فساعدت العاطفة على انتشار هذه الفكرة بين الجماعات حتى اصبحت اوربا مارستاناً واسعاً لجماعة اقضت مضاجعها شعوذات السحرة بصنوف حيلهم وضروب تدجيلهم . فالجمهور ساذج عاطفي الى حد كبير كثير الاندفاع قليل التروي وقابل للايحاء ، مستهتر في تحكمه ، ومتسرع في حكمه . ولقد فهم شكسبير الجبار عقلية الجماهير فصورها في مسرحيته الرائعة يوليوس قيصر . فقد نجح بروتس باقناع الشعب بضرورة قتل قيصر لكن

انطونيوس استمالهم عن طريق العاطفة فانقلب الجمهور الحانق الساخط الى جمهور ثائر على القتله والمتآمرين .

والغريب ان بعض الافراد يكرهون قوماً ويحتقرون طبقة انسانية في حين انهم لم يعاشروا احداً منها او يؤاكلوا فرداً من افرادها او يطلعوا على برنامج حياتهم ومجاري افكارهم اطلاعاً صادقاً يمكنهم من الحكم لهم أو عليهم . انما روح الجماعة والتغرض الجنسي والقومي تدفع اولئك الافراد كي ينهجوا ذلك المنهاج في تصرفاتهم مؤيدين شعور الجماعة في استقباح ما استقبحت واستجمال ما استجملت

تبادل الاحساس : تتبادل الاسرة الانسانية الاحساس في شتى مناحي الحياة ، فيشعر الفرد بشعور غيره ، ويشترك معه في احساسه سواء في الالم والفرح — الشدة والرخاء وقد تسرب هذا الاحساس الى الجماعة الانسانية ، حتى اصبح طابعاً لمسالكها ، واساساً لتصرفاتها . وهذا الاحساس هو الذي يهيب بالجماعة ان تجمع الاعانات لقوم نكبوا في زلزال او نيران او فيضان وهي تعمل هذا بدافع الروابط التي تربطها بالمجتمع الانساني . فلو اخذنا حجراً وحطمناه لم يتعد ذلك الاثر غيره اذ لا رابطة حيوية تربط تلك المجموعة من الحجارة بعضها ببعض . اما الانسان فلا يخلو من ارتباطه بمجتمعات كثيرة فهو عضو في اسرة وفي مدرسة وفي مدينة او قرية وفي امة وفي العالم بأسره .

الرأي العام : إن للقانون والرأي العام أثراً كبيراً فى المجتمع فهما يمنعان الناس من تعدي الحدود والجري حسب الهوى . وللرأي العام فضل كبير على المجتمع لان العادات الاجتماعية والاوضاع التقليدية تتخذ شكلها الثابت بمطرقته . فنحن نجل الصدق لان الرأي العام يحتقر الكاذب ونستعظم الاستقامة لان الرأي

العام يستصغر المعوجين . والرأي العام في الامم المتمدنة سلطان على القوانين في وضعها والحكومة في خطتها ، وعلى الادارة في سيرها . والرأي العام غير الناجح قوة للدمار كالعاصفة التي تقتلع الاشجار المثمرة والبيوت العامرة ، اما ان سار الرأي العام في الطريق السوي فهو عرش محمول على الاكف تجلس عليه خدمة الامة الامناء ، وهو الوازع الذي يحمل الافراد على الصلاح والخير .

وجماهير الطلبة افراد في نسيج المجتمع يسلكون كما تسلك الجماعة ويتلونون تلونها ويخضعون لاوضاعها ويتحسسون احساساتها . وفي ميسور فرق الطلاب أن تكون القادة في هذا المضمار ، وفي مقدور رواد العلم ان يكونوا الطلائع في المجتمع الانساني ، فيضعوا نواة رأي عام ناضج يضمن اليمن والخير للبلاد ، ويسلكوا مسلكاً اجتماعياً صالحاً يقربون عصر الاسعاد والاقبال للجماعة البشرية .

الناصرة : ابرهيم مطر

اختبار الذاكرة في معلومات المدارس العامة

عن مجلة The School عدد دسمبر

وضع كاتب هذا المقال بمساعدة رئيس مدرسة Ryerson في لندن خمسة وعشرين سؤالا تحتوي على حقائق يتعلمها طلاب المدارس العامة للوقوف على ما يعلق منها بذهن من اتموا المدارس الثانوية والتحقوا هذه السنة بجامعة اونتاريو . وكان عدد الطلاب الذين اعطوا هذه الاسئلة للاجابة عليها مئتين

واليكم الاسئلة مع النسبة المئوية للعاجزين عن الاجابة من المئتي طالب موضوعة بين قوسين

١ — في اي قرن تقع سنة ١٤٩٢ ؟ (٥ ٪ اخطأوا)

٢ — ما جمع كلمة basis ؟ (٣٣ ٪)

٣ — سبعة طلاب نالوا ٣٥٦ علامة . جـــد المعدل مقرباً الى ثلاث منازل عشرية . (٣٠،٥ ٪)

٤ — اي الجملتين صحيحة

(١) I think it best for you and me to seek divorce

(٢) I think it best for you and I to seek divorce ؟ (٣٥،٥ ٪)

٥ — رصاصة (ا) قطرهـــا ٠،٣٠٣ بوصة ورصاصة (ب) قطرها ٠،٣٢ بوصة . فاي القطرين اكبر ؟ وما الفرق بينهما ؟ (٢٢،٥ ٪)

٦ — في هذه الجملة "Learning to drive an automibe requires patience" من اي نوع من انواع الكلم Learning ؟ (٦٨ ٪)

٧ — هل كلمة practise في هذه الجملة صحيحة ؟ We went to the rugby practise at four o'clock (٣٠،٥ ٪)

٨ — كم ياردة مربعة في ٨ ردات[1] مربعات ؟ (٧٨ ٪)

٩ — اي ملك انكليزي اعلن نفسه رئيساً للكنيسة وقطع علاقاته بالبابا ووضع اساس كنيسة انكلترا الحالية ؟ (٣٥،٥ ٪)

١٠ — ما اسم القسم المائي الذي يفصل تسمانيا عن استراليا ؟ (٩٨،٥ ٪)

١١ — ما خارج قسمة ٢٨ على حاصل ضرب مجموع وفرق العددين ٨ و٦ (٢٦،٥ ٪)

١٢ — ضع خطاً تحت احدى هاتين الكلمتين الموضوعتين بين قوسين ان عدتها

---

(١) الرد rod ٥ ياردات ونصف

صحيحة في الجملة الاتية: Go to the store and (fetch or bring) the groceries home. (١٨،٥ ٪)

١٣ — اتكون الارض اقرب الى الشمس في الصيف امفي الشتاء؟ (٥٨ ٪)

١٤ — هل معظم القمح الذي يزرع في اونتاريو قمح خريفي ام ربيعي؟(٢٨ ٪)

١٥ — اذا اهملنا تأثير الارتفاع افتكون هذه العبارة الاتية صحيحة ام فاسدة؟ كلما سار الانسان جنوباً ازداد المناخ حرارة (٥٧ ٪)

١٦ — متى يعطل الكندي لذكرى تأسيس بلاده؟ (٢٢ ٪)

١٧ — ما النسبة المئوية ل ٢١ من ٨٤؟ (٢٠،٥ ٪)

١٨ — اي هاتين الكلمتين تقع في القاموس قبل الاخرى؟ rewind, reunion (١،٥ ٪)

١٩ — نصبُ عليه هذه الارقام الرومانية MCMXXVII · فما هو هذا العدد؟ (٤٤ ٪)

٢٠ — ما اهم مركز لبناء السفن في اسكتلندا؟ (٣٥ ٪)

٢١ — ما المفرد المتكلم في الfuture perfect من صيغة المعلوم لفعل See؟ (٤١،٥ ٪)

٢٢ — ما الرياح السائدة في المنطقة الحارة؟ (٧٣،٥ ٪)

٢٣ — ما تاريخ ثورة سسكتشوان؟ (٩٥ ٪)

٢٤ — ما قاعدة ولاية كولمبيا البريطانية؟ (١٩ ٪)

٢٥ — ما تاريخ البراءة العظمى؟ (٨٠ ٪)

هذه هي الاسئلة وهذه هي النتائج التي وصل اليها واضعاها. وهي نتائج قد

تبدو للبعض فظيعة اذا ذكرنا ان من اجابوا عليها كانوا ممن انهوا المدارس العامة والثانوية في اونتاريو وكانوا معدودين من الاذكياء . فلم نسوا كل هذه الحقائق التي درسوها في دورهم الابتدائي . اقصر معلوهم في تعليمهم ام انهم تعلموا اموراً لم يستعملوها بعد دراستهم الابتدائية فنسوها ؟

قد يقال انه وان نسي الطالب كثيراً من الحقائق المدرسية الجافة فهو ينشئ في اثناء تعلمه عادات ذهنية قيمة . اما صحة هذا القول فيتوقف على عوامل كثيرة . ومهما كان الامر فلنا ان نتساءل اذا كانت هذه العادات الذهنية تنشأ بالسهولة نفسها ان دققنا في المواد المنتظر من الطلاب استعمالها وبذلك يتذكرونها

انحن اذاً نضيع الساعات الثمينة في المدارس العامة ؟ وهل معظم المادة الدراسية التي يقضي في تعلمها وتعليمها الطالب والمعلم مصيرها النسيان ؟ هل ندقق كثيراً في الامور التي يجدر التدقيق فيها ؟ هل حصلنا على غاية مرضية في التعليم الابتدائي؟ كل هذه مسائل تحتاج الى دراسة جدية ويجب ان لا تنحصر في التعليم الابتدائي بل تتعداه الى الثانوي والجامعي

كل من يطلع على هذه الاسئلة الخمسة والعشرين يجد انها لاتتساوى في الاهمية ولذلك عرضت على مديري احدى وعشرين مدرسة في مدينة لندن لابداء رأيهم في اهميتها وكلفوا ان يضعوا صفراً لما كان منها عديم الفائدة ليس من تذكر جوابه نفع ، وعلامة واحدة لما كان قليل الاهمية ، وعلامتين لما كان متوسط الفائدة ، وثلاث علامات لما كان عظيم الفائدة يجدر تذكر جوابه، واربع علامات لما كان عظيم الفائدة جداً يجب ان يتذكر جوابه كل خريج مدرسة عامة

بعد ان جاءت الردود اخرجنا منها معدل اهمية كل سؤال فكان ترتيب اهمية الاسئلة كما هو مبين في الجدول الآتي

نمرة السؤال	محتويات السؤال باختصار	درجة السؤال بحسب اهميته
١٨	rewind or reunion	١
١٦	ذكرى تأسيس كندا	٢
٤	for you and me (I)	٣
١٧	النسبة المئوية	٤
١٥	كلما سرنا جنوباً المناخ ادفأ	٥
٣	المعدل مقرب الى ثلاث منازل عشرية	٦
٢٤	قاعدة كولمبيا البريطانية	٧
٥	قطر الرصاصتين	٨
١	السنة والقرن	٩
١٢	fetch or bring	١٠
٩	الملك الانكليزي ورئيس الكنيسة	١١،٥
٢٠	اهم مركز لبناء السفن فى اسكتلندا	١١،٥
٢٢	الرياح السائدة في المنطقة الحارة	١٣
١٤	قمح ربيعي ام خريفي	١٤
١١	خارج القسمة ، حاصل ضرب مجموع وفرق	١٥
١٩	الارقام الرومانية	١٦
٧	practise or practice	١٧
٢٥	تاريخ البراءة العظمى	١٨
٢	جمع basis	١٩
٨	الياردات المربعة والردات المربعة	٢٠

١٣	الشمس في الشتاء وفي الصيف	٢١
٢٣	تاريخ ثورة سسكتشوان	٢٢
٦	كلمة learning	٢٣
٢١	المفرد المتكلم ... من فعل see	٢٤
١٠	تسمانيا واستراليا	٢٥

يظهر لنا من تقدير مديري المدارس نتيجتان مفيدتان : الاولى انهم اختلفوا اختلافاً كبيراً في تقدير بعض الاسئلة . فسبعة منهم مثلا رأوا ان ليس من المهم ان يقدر خريج المدارس العامة ان يجيب اجابة صحيحة على السؤال الحادي عشر (راجعه في مكانه) ، ولكن اربعة منهم رأوا عكس ذلك وقدروه تقديراً عظيماً جداً ، واما الباقون فتراوح تقديرهم له بين العلامتين والثلاث . والنتيجة الثانية ان كثيراً من هؤلاء المديرين عدوا قسماً كبيراً من الاسئلة الموضوعة عديم الفائدة . فواحد منهم مثلا وضع صفراً للا اقل من احد عشر سؤالا . فهل نفهم من هذا ان هؤلاء المعلمين — وهم يمثلون طبقة كبيرة — يقومون بتعليم اشياء لا قيمة لها اي لا لزوم لتذكرها ؟

نحن في زمن تدخل فيه تغييرات جليلة على برامجنا ، تغييرات نرحب بها . فهل لنتائج هذا الاختبار، على مئتي طالب يمثلون الطلاب الذين يلتحقون بالجامعات، دخل في توجيه هذه التغييرات ، وهل لهذه التقادير التي وضعها مديرو إحدى وعشرين مدرسة شأن في هذا الصدد ؟

هذا سؤالنا نوجهه الى اولي الامر . فما الجواب الصحيح ؟

طريقة المسالة في تعليم الجغرافيا

لقد مر زمن كانت فيه الجغرافيا تلقن للطلاب تلقيناً ، إذ يملي المعلم عليهم ما يشاء ، ليؤمنوا بما يقول ، فيعدوا ما يتجمع لديهم من المعلومات كما اعطاها لهم بالتدقيق . ولكن كبار المربين اخذوا يعالجون هذه المشكلة متذرعين بشتى الوسائل فتوصل فريق منهم إلى اسلوب جديد ظريف دعوه بطريقة المسألة ، وقد كانت هذه الطريقة موضوع بحث معلمي الجغرافيا منذ سنوات ، وجربتها آلاف منهم فحصل بعضهم على نتائج حسنة ، إلا أن بعضهم وجدوا انهم هم الذين يحلون المسائل لا طلابهم . وذلك راجع إلى أنهم ينسون أن الطفل قبل أن يجابه بالمسائل ليحلها يجب أن يعلم كيف يدرك مسألة ويميز عناصرها .

وفي هذا المقال ننقل ما جاء في عدد دسمبر من مجلة اميركية (The Journal of Geography) عن طريقة المسألة هذه ، وننقل عين المثال الذي ذكرته راجين من المعلمين ان يعيروا هذا الامر شأناً على أن يحوروا ما جاء في المثال عن الحياة الاميركية ليتلاءم والحياة الشرقية عامة والعربية خاصة .

...

ولكي يتمكن المعلمون من عرض المسائل على الطلاب فيفهموا مايطلب منهم بها ، وضعت الدرجات الاربع التالية ليتبعها المعلم :

١ — وجه نظر الطالب إلى مسائل وعرفه بها .

٢ — الق المسألة وعناصرها على الطالب ، ثم اعنه في ايجاد التفصيلات لحلها

٣ — ابحث في امور تكوّن مسألة في ذهن الطالب ، بعرض معلومات وحقائق معينة .

٤ — دع الطالب يجد مسائل لنفسه بالاكثار من المطالعة .

ويخصص لكل من هذه الدرجات نصف سنة . وسنوضح هنا الدرجة الاولى منها ، بهذه المسألة : « ماذا نقصد بكلامنا عن المناخ ؟ »

ان الاولاد يحبون تسمية المواليد الجديدة وتسمية كلابهم وقططهم وتلقيب اصدقائهم . وقد استغل معلمو القراءة هذه الرغبة ، فهم يعرضون على الطلاب قصصاً دون عنوان ، و بتكليفهم الطالب وضع عنوان للقصة يتمكنون من اثارة التفكير فيه و زيادة الاستيعاب . فباسلوب مماثل لهذا يمكن ارشاد الطالب الى طرق لحل المسائل . و بعد المقدمة القصيرة التي سنتلوها الان مسألة يطبعها المعلم بطريقة من الطرق و يوزع نسخها على الطلاب ، ويجري فيها العمل كما يأتي :

عرض المسألة :— بعد ان تكون اوراق المسألة بين ايدي الطلاب يقول المعلم : « لدينا هنا سؤال او مسألة — ماذا نقصد بكلامنا عن المناخ ؟ ان نقاطاً معينة ستصل بنا الى جواب او الى حل للمسألة . والاوراق التي معكم تحتوي على هذه النقاط الضرورية اذ كل فقرة تدور حول فكرة واحدة (انظر المسألةفي نهاية المقال) ، ليقرأ كل منكم الفقرة الاولى وليطلق عليها اسماً . فاذا عجز ثانية فليتركها ولينتقل الى الفقرة الثانية . و بعد ان ينتهي من الفقرات الاخرى ليعد الى تلكالتي تركها فقد يتوصل الى وضع اسم لها . ولنر الآن من في استطاعته ان يعطينا افضل تسمية »

ولكي لا يهمل المعلم التفاوت بين الطلاب كالسرعة في القراءة والفهم، يضع في نهاية مسألة المناخ التمارين الآتية :

١ — ما هي العاصفة ؟

٢ — ما معنى درجة الندى ، وكيف يقاس ؟

٣ — ارسم خريطة لسقوط الامطار في الولايات المتحدة .

٤ — ارسم خريطة لفصل النماء في الولايات المتحدة .

وهنا يلجأ الطالب الى الكتب والمعالم الموجودة في غرفة الصف ليجيب على هذه الاسئلة

طريقة الحل :— ثلاثون دقيقة كافية ليفرغ الطلاب من قراءة المسألة على فقراتها . ثم يسألهم المعلم عن العناوين التي اختاروها للفقرة الاولى (للاختصار لم نورد الا عنواناً واحداً من العناوين التي اختارها الطلاب) ، ويكتبها على اللوح. وكلما قدم طالب عنواناً يسأل عن السبب في اختياره، فله حينئذ ان يستشهد بعبارة من الفقرة . وعندما يجتمع للمعلم خمسة او ستة عناوين كهذه يطلب من الصف كله ان ينتخب العنوان الانسب. وعندئذ تكون محتويات الفقرة قد استوعبها الطلاب ورسخت في اذهانهم في اثناء المناقشة. وعلى هذا النحو تتجلى روح التنافس بمحاولة كل فرد ان يكون صاحب العنوان المنتخب ، في حين ان روح التعاون تتجلى في اشتراك الجميع لايجاد الاسم الانسب .

وعلى هذا النمط يتباحث الصف في كل فقرة وعنوانها المنتخب. ولنفرض ان العناوين المنتخبة للست فقرات هي هذه :

١— فصل النماء .

٢— درجة الحرارة .

٣— سقوط الامطار .

٤— تأثير المياه الكثيرة .

٥— تغيير الرياح لدرجة الحرارة وسقوط الامطار .

٦— الخدمات التي تقوم بها دائرة الطقس .

ويلفت المعلم نظر الطلاب الى ان هذه النقاط الست التي نقصدها عند كلامنا عن المناخ في قطر ما . وهي العناصر المذكورة في الدرجة الثانية من الطريقة العامة الواردة في اول المقال .

المسألة

ماذا نقصد بكلامنا عن المناخ

١ — حالما يعلم الفلاح ان فترة الجليد قد انقضت يزرع بذوره. ونوع البذور التي يزرعها يعتمد على عدد الايام التي تخلو من الجليد. ففي ميلووكي Milwaukee يعرف الفلاحون ان في استطاعتهم زرع ما يتم نماؤه في ١٦٠ يوماً . وحول خليج المكسيك يزرعون ما يحتاج الى ٢٦٠ يوماً كل ما ارادوا تقريباً اذ الجليد عندهم نادر جداً بحيث تكون مدة النماء نحو ٣٦٥ يوماً . وطول المدة هذه ، التي تنمو في اثنائها الحبوب تدعى فصل النماء .

٢ — وعدا طول فصل النماء في فلوريدا ، هي دافئة دائماً . وعلى ساحل نيو انجلند تجد الحرارة قدرها في ميلووكي صيفاً وشتاء . اما في جبال اديرونداك فقد تنخفض درجة الحرارة الى ٤٠° تحت الصفر ، وذلك لانها بعيدة عن الساحل وابعد الى الشمال من فلوريدا . ولذا نجد امكنة باردة جداً ، واخرى اقل برودة ، وثالثة حارة جداً . فاذا اردنا ان نعرف ان منطقة ما حارة او باردة نرجع الى درجة حرارتها . اذن عند كلامنا عن المناخ نذكر درجة حرارة ذلك المكان .

٣ — اذا جعلنا وعاء يستقبل الامطار الساقطة في ميلووكي كلما هبت عاصفة مطر ، واذبنا الثلج — اذا سقط شيء منه — ثم قسنا الماء المتجمع دون ان نفقد شيئاً منه بالبخر ، وجدنا ان عمقه يتراوح بين ٣٠ و ٤٠ بوصة . ومعرفة كمية المطر الساقط مهمة ، اذ لا نستطيع ان نزرع الارز مثلا في صحراء ايزونا ، كما ان الرطوبة الكافية الموجودة في الهواء هي التي تحفظ نسيج القطن في مانشستر ببلاد الانجليز ، مما يساعد على اتساع صناعة نسج الملبوسات . ولذا فمن الضروري ان تعرف شيئاً عن سقوط الامطار لنعرف اثرها في الغلات والصناعات .

٤ — ان اماكن مثل منسوتا ترتفع حرارتها في الصيف حتى ١٠٢°، وتنخفض في الشتاء حتى ٥٠° تحت الصفر . غير اننا لا نجد اماكن على ساحل مين او واشنطن بهذه الدرجة المرتفعة من الحرارة في الصيف لان الرياح الباردة التي تهب من المحيط تلطف من حرارتها . وفي الشتاء لا تبلغ برودتها ذلك الحد لأن رياح المحيط آنذاك تكون ادفأ من الارض الباردة . وهكذا نجد ان المحيط او اي مقدار كبير من الماء كبحيرة مشغن يساعد على اعتدال درجة الحرارة طول السنة . وهذا المناخ يعرف بالمناخ الجزري . واما الامكنة التي هي على شاكلة شمال منسوتا فيقال ان مناخها قاري .

٥ — اذا فحصنا اشجاراً في حقل مكشوف ، نلاحظ ان الاغصان المواجهة للشرق تزيد على المواجهة للغرب . فاذا راقبنا دليل اتجاه الريح بضعة ايام رأينا الريح تهب غالباً من الغرب او الجنوب الغربي . ولو عدنا الى خريطة سقوط الامطار في الولايات المتحدة لوجدنا ما ينيف على ٦٠ بوصة من المطر في المنطقة الممتدة من اواسط كاليفورنيا الى كندا ، اي ضعف ما يسقط منه في منووكي . هذا لان الرياح الآتية من المحيط تكون مشبعة بالرطوبة ، فاذا مرت بالجبال بردت ففقدت معظم ما فيها من الماء . ولذا اكتست منحدرات الجبال بالغابات . وبعد ان تمر الرياح فوق الجبال وقد كادت ان تجف ، تنخفض ثانية وتزداد حرارتها . وكلما كانت الرياح أدفأ ، كثر استيعابها للرطوبة ، ولذا فهي تجفف الارض بدلا من ان تسقيها . فمن جبال روكي الى داكوتا وبنرسكا وكنساس واوكلاهوما وتكساس ، لا يسقط الامطر قليـــل تبعاً لما يهب عليها من الرياح المجففة . لهذا فللرياح خطورة في مناخ منطقة ما

٦ — اذا اردت ان تذهب يوم الاحد الى متنزه منفرد ، تراجع في مساء

السبت احدى صحف اليوم ، لترى ما تذكره عن حالة الطقس في اليوم التالي : أتمطر السماء ، أتكون أبرد أم أدفأ الخ . ويمكنك عادة ان تعتمد على ما يرد في الصحيفة ، ولكن الا تتساءل : كيف قدر الكاتب ان يخبرك بذلك ؟

ترسل الامور التالية من مئات الاماكن في الولايات المتحدة الى نحو ستة فروع رئيسية في دائرة الطقس :

١ — مقدار المطر الساقط ، اذا سقط شيء منه .

٢ — درجة الحرارة .

٣ — اتجاه الريح ، وسرعتها ، ودرجة الندى .

٤ — حالة السماء .

٥ — ضغط الهواء .

ثم توضع هذه على خريطة خاصة ، وعنها يصدر الاخصائيون تقاريرهم في حالة الطقس للصحف وغيرها .

ودائرة الطقس لا تعيننا في امور النزهات فحسب، بل تحذر السفن ايضاً من العواصف ، والفلاحين من الصقيع ، والطيارين من الزوابع ، والقرويين من الفيضانات وغيرها،فهي تنجي حياة الوف من البشر،وتنبه اولي الامر لحفظ الغلات ومواد الطعام من التلف .

الصف الخامس الثانوي   جبرا ابراهيم جبرا



فهرست

صفحة